نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

عدد: Issue No: 32

نيسان April 2010

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

المسيح قام من بين الأموات
وداس الموت بالموت
ووهب الحياة للذين في القبور

تقرير المصير

محتويات العدد

2 تقرير المصير
3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4 توبة اللص
8 تفسير القدّاس الإلهي
10 الموت المحيي
13 قيامة المسيح
14 بشارة والدة الإله
18 السموات تذيع مجد الله
19 كيف يجب أن يكون الكاهن
20 طريق النساك
22 العهد القديم . (١٦)
23 عجائب القديس يوحنا الروسي
23 الفيلسوف والملك
24 شرح أيقونة القيامة

توزع هذه المجلة مجاناً
جمعية نور المسيح : كفركلا - الشارع الرئيسي
(الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١
تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

تقول إحصائيّة أنّ ربع الناس في العالم يموتون قبل بلوغ السابعة من العمر ونصفهم قبل بلوغ السابعة عشرة.

ولا يصل إلى سن الستين أكثر من ٦٪ ولا يبلغ الثمانين أكثر من واحد في كل خمسمائة.

أفلا يدعونا هذا إلى **تقرير المصير** في أمر الحياة الخطير. قبل أن يطير هذا العمر القصير.

يقول القديس إسحق السرياني:

﴿ جهّز قلبك للرحيل ، إن كنت حكيماً فإنّك تنتظره كلّ ساعة، في كل يوم قُل لنفسك أُنظري يا نفسي. ها أن الرسول الذي يأتي ليفتّش عني هو **على الباب**. فلماذا أجلس متكاسلاً؟ ﴾.

الموت هو الحَدَث الوحيد الثابت الذي لا مَفَرَّ منه ، والذي ينبغي على كل إنسان أن يتوقّعه. وهو الحقيقة التي لا يُمكن تجنّبها.

بدون نشيد الموت يصير نشيد الحياة لا هَدَف له. فإنّه بإهمال حقيقة الموت نحرم الحياة من عظمتها الحقيقيّة.

يقول الرسول بولس:

«إنّي ... أموت كل يوم» (١كو١٥: ٣١).

إنّ الموت أقرب إلينا جداً أكثر ممّا نتصوّر فهو ليسَ حادثة بعيدة تتم في ختام وجودنا الأرضي، بل هو حقيقة حاضرة ، تجري باستمرار حولنا وتسري في داخلنا.

فكل حياتنا هي مزيج من الموت والقيامة: «كمائتين وها نحنُ نحيا» (٢كو٦: ٩).

إنّ رحلتنا الأرضيّة هي عبور مستمر من خلال الموت إلى حياة جديدة.

فكل مرّة ندخل إلى النوم هي تذوّق مُسبَق

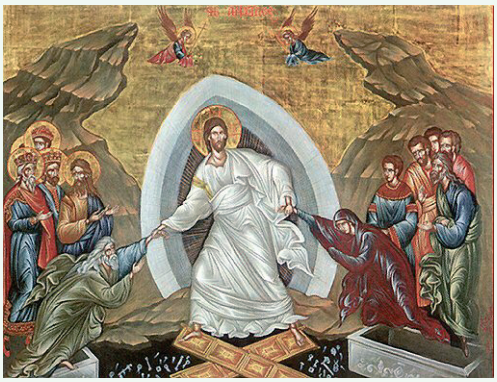

للموت ، وكل مرّة نستيقظ فيها هي تذوّق مُسبَق للقيامة من الموت.

وفي عمليّة النمو ، هناك شيء فينا يموت لكي ننتقل إلى المرحلة التالية للحياة.

فالإنتقال من طفل إلى صبي إلى مُراهق ومن مراهق إلى بالغ ناضج يقتضي في كَل نقطة انتقال ، نوع من الموت الداخلي لكي يبرز شيء جديد في الحياة.

إنتبه أيها القارىء الحبيب .. فعوامل الإنحلال بدأت تدبّ في جسد البشريّة بعد اللحظة الأولى التي أَكَلَ فيها أبينا آدم من الثمرة المحرّمة.

ومهما طال العمر لابد أن يؤدي بنا حتماً إلى الموت.

فإذا أقبَلَ الشباب ذهبت الطفولة ، وإذا أقبلت الشيخوخة ذهَبَ الشباب ، وإذا أقبَلَ الموت ذَهَبَت كل الحياة.

إنّ رحلة الموت تبدأ في يوم الميلاد
على حين يبدأ الميلاد الجديد في يوم الرحيل .

لأنّ بالمسيح وبقيامته الظافرة ، أصبَحَ لنا الموت جسراً ذهبياً ينقلنا إلى الحياة الأبديّة.

للموت سطوة لا تُرَد ، وموعد لا يُخْلَف لذا **يقول الشاعر:**

وإذا المنيّة أقبلت لم يثنها حرصُ الحريص وحيلة المحتال

وأيضاً **يقول** : إنّه يتساوى لديه الأحياء جميعاً.

بنو الدنيا إذا ماتوا سواءٌ ولو عمّر المعمر ألف عام

وكذلك **يقول الشاعر:** إن بذل النفس جوداً يفوق بذل المال.

وندعو كريماً من يجود بماله ومن يبذل النفس الكريمة أكرم

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة حلول عيد الفصح المجيد

"لقد قمتَ من القبر بمجد أيها السيّد كإله وأقمت معك العالم. فسبّحتك طبيعة البشر كأله ؛ والموت اضمحل وآدم رقصَ طرباً وحواء أُعتقت من القيود. فهيَ تهتف الآن مسرورةً :أنت أيها المسيح هو المانح القيامة للجميع" .(القنداق،صباح الأحد اللحن ١ – المعزّي)

أيها الأبناء المحبوبون

المسيح قام

قيامة ربّنا يسوع المسيح هي **قمّة سرّ التدبير الخلاصيّ**. لأنّه حسب الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول:

« فإن لم تكن قيامةُ أموات فلا يكون المسيحُ قد قام.وإن لم يكن المسيح قد قام. فباطلةٌ كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم . ونُوجد نحنُ أيضاً شُهودَ زور للّه لأنّنا شَهدنا من جهة اللّه أنَّهُ أقامَ المسيح وهو لم يُقمه إن كان الموتى لا يقومونَ» (١ كورنثوس١٥:١٣–١٥).

وبكلام آخر إن لم يَقُم المسيح من بين الأموات ، فكرازتنا تكون : زائفة ، باطلة ، فارغة ، وبدون معنى، لذا فإيمانكم أيضاً يكون أجوفَ عَرَضيّاً ، لا جوهر لهُ ولا ملء ، ذلك لأنّ كرازتنا من ناحية وإيمانكم من الناحية الأخرى يرتكزان على أساسٍ متين وراسخ ألا وهو قيامة المسيح من بين الأموات.

تماماً هذه هي أقوال القديس يوحنا الدمشقي التي ذُكرت في القنداق أعلاه. لأنّ هدف التدبير الإلهيّ هو تحرير آدم وحواء من سلطان الموت الذي دَخَلَ من جراء خطيئة المعصية.

كنيستنا ، الكنيسة الشرقيّة الأرثوذكسيّة تُسَمّي أيضاً **بكنيسة القيامة**. **ولماذا؟** لأنّها جسد المسيح، آدم الثاني ، المسيح القائم والظافر. الذي سَيّطَرَ على قوّات الظلمة، وأقفال الجحيم ، واستبداد الشيطان. فقيامة المسيح دَمّرت عقالات الموت ولاشته ، أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا جحيم؟.

بقيامة المسيح من بين الأموات وكما يقول القديس يوحنا الدمشقي: المسيح الإله أقامَ معه كل العالم ومنه طبيعة البشر . هذا يعني أن القيامة هي في متناول يد الإنسان، فكل شخص يستطيع اليوم أن يحظى بالقيامة .

هذا يعني أنّ الإنسان لينعم بأمجاد القيامة ، يتوجّب عليه منهج حياة صحيح يُسَخِّر فيه إرادته الحرّة ليكون هيكلاً للروح القدس . هذه الحياة الصحيحة تكون فقط من خلال الكنيسة بتعاليمها الصحيحة ، وكرازتها القويمة ، وتقليدها الشريف المقرونة بالأسرار الإلهيّة المقدّسة.

حقاً إنّنا في كنيستنا المقدسة نعيش قيامتنا أي علاجنا وتجلّينا بخدمة القداس الإلهيّ ، حيثُ نشارك ومن خلال المناولة في قيامة المسيح «لقد قمت من القبر بمجد أيها السيّد كإله وأقمت معك العالم».

تعيش كنيستنا فرح القيامة البهيجة. لأنّ بقيامة المسيح نتذوّق ملكوت السموات الذي أصبحَ لنا محدّداً في الزمان والمكان .

إنّنا نحنُ أبناء **كنيسة القيامة** في الأراضي المقدّسة شهود الصَلب والقبر ، شهود الجلجثة ، حيثُ سَفَكَ الرب يسوع المسيح دَمَه الكريم والثمين فديةً على الصليب ثمن خطايا البشريّة في أرجاء المسكونة ، وشهود القيامة المجيدة التي وهبها المسيح للجميع .

فالقبر شاهدٌ معنا حيثُ مكان دفنه ، ومكان قيامته المجيدة ، والذي ما زال فارغاً حتى يومنا هذا، يدعونا لنمتلىء من فرح القيامة المُنير ، لنسير في موكب نُصرة المسيح.

أيها الأخوة المحبوبون بالربّ

المسيح ينتظرنا لا بل ينتظر كلّ إنسان بدون أي تفرقة أو تمييز أو جنس أو لون ، أن يُشارك في قيامته لأنّه كما يقول الكتاب المقدّس: «لأنّ اللّه على صورته عمل الإنسان» (تك١:٧). فالكتاب يذكر **(الإنسان)** أي الأنسان بشكل عام ومن خلاله كل الإنسانيّة .

وأيضاً كما يذكر القديس يوحنا اللاهوتي في الإنجيل الشريف: « لأنّه هكذا أحبّ اللّه العالم حتى بذَلَ إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو ٣:١٦).

إنّ محبة اللّه تتلخّص بالقيامة. ففيها نرى وندرك عُمق واتساع محبّة اللّه غير المحدودة للبشريّة جمعاء.

المسيح قام ، حقّاً قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

توبة اللص

للأب أنتوني م. كونياريس كاهن كنيسة الروم الأرثوذكس
في مدينة مينيابوليس - الولايات المتحدة الأمريكيّة

معي في الفردوس:

أنكر بطرس سيّده علانية، ولكننا نرى اللص التائب يعترف بيسوع علانية قائلاً: "اذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك" (لو ٢٣:٤٢)، أمّا استجابة يسوع له فقد كانت فوريّة، إذ قال له للتو: "اليوم تكون معي في الفردوس".

اليوم نتعجّب لأنّ أول من دخل السماء كان لصًا، لصًا تائبًا، لصًا ظلّ لصًا حتى موته، لأنه سرق ملكوت السموات وفردوس النعيم بنعمة اللّه وبواسطة التوبة. إن كان شخص قد بلغ إلى هذه الدرجة من الفساد والرداءة حتى حُكم عليه بالصَّلب لأجل أفعاله الشائنة وجرائمه العديدة هو أوّل من دخل الفردوس، إذاً فقد أصبح لي الرجاء الكامل في دم يسوع للخلاص. قال واعظٌ فرنسي مُتأملاً في هذا الموقف: "اليوم! أي سرعة كانت هذه؟ وفي أي مكان؟ في الفردوس! يا له من مكان عظيم في وقت قليل، وبصحبة إله قدير!".

قصّة:

كان فتى يجلس في دائرة الملعب من الخارج وهو يصرخ وكأنّ قلبه يتحطّم، ولكن لم يكن مُصابًا بأي أذى، كما أنّه لم يكن قد خسر المباراة، فقد كان رفاقه يلعبون داخل الملعب، ماذا كان إذًا سرّ حزنه الشديد؟ إنّه يكمن في أنّهم كانوا يلعبون بدونه، إنّهم نسوا أن يشركوه معهم في المباراة، ولم يتذكّروه.

من أَمَرِّ الأمور في الحياة أن يعيش الإنسان نسيًا منسيًا، كم من أناس يسيرون في موكب الحياة وهم في مرارة وغُصّة الموت وهم يشعرون أن الأيام قد أغفلتهم وأن اللّه قد تناساهم؟ وكم من مرات نجد أن هذه الصرخة تدوي في الكتاب المقدّس: "يا رب، حتى متى تنساني؟ هل إلى التمام؟"، "نُسيتُ من الأحياء مثل ميت مرذول"، "الأبدية نسيتني، وإلهي تركني".

للذِكرى:

يعمل الناس أي شيء وكل شيء ومهما كان، ليخلّدوا ذكراهم! فقد قَتَلَ لي هارفي أوسفالد الرئيس الأمريكي جون كنيدي لا لشيء إلا لأن يذكره الناس. يقول جون ويلكس بوث: "إن أنتَ هدمت تمثال رودس العظيم، فإنّ اسمك سوف يُسجَّل في كُتب التاريخ"، وعندما يموت عزيزٌ لدينا، فإنّنا نضع علامة على قبره منقوشًا عليها اسمه، إنّنا لا نريد أن ننسى أبدًا المحبوبين. وبسبب أنّ الفراعنة كانوا يريدون أن تظلّ ذكراهم دائمة وخالدة، فإنّهم شيّدوا الأهرامات العظيمة لتكون مقابر لهم. وفي الهند، فإنّ مقبرة "**تاج محل**" وهي قصر من المرمر، قد بناه واحد من الحكّام ليكون مقبرة لزوجته حتى لا تُنسى أبدًا وتظل ذكراها باقية، والأطفال الصغار أيضًا يبتهجون في نحت الحروف الأولى من أسمائهم على الإسمنت الطري، حتى تظل أسماؤهم عليه عندما يجف لسنين طويلة، وعندما نكبر، فإنّ رغبتنا في أن يتذكّرنا الآخرون تأخذ أشكالاً أخرى، وذلك بأن نُقيم أشياء تخلِّد ذكرانا: فمثلاً نُقيم مشاريع أعمال عظيمة، أو أن نؤلِّف كتابًا، أو أن نؤسِّس منشأة كبيرة، أو أن نجعل منحة دراسية تُعطى لآخرين على اسمنا، أو نبني قاعة كبيرة لذكرانا، أو أن نُقيم عمارة هائلة أو ناطحة سحاب وننحت إسْمَنا عليها. لا أحد يريد أن يبقى نسيًا منسيًا.

قبل بدأ الحرب الأهلية في أمريكا، لاحظ القادة جنودًا يجلسون على العُشب تحت الأشجار أو الغابات وهم يُخيطون أسماءهم على أكمام ستراتهم. لقد توقّع الجنود أنّهم سوف يموتون في المعركة القادمة، ولم يشاءوا أن يظلُّوا بلا هويّة. إنّهم أرادوا أن يتذكّرهم أحد ما في مكان ما، كيف وأين ومتى ماتوا، وأين تكون أجسادهم.

يظن العالم اللاهوتي **الدكتور بول تيليش**، أنّ سبب القلق من الموت ، هو القلق من أن يُنسى الشخص، الآن وإلى الأبد. ويقول إنّ الدفن يعني الانتزاع من على وجه الأرض، وهذا ما لا يستطيع الإنسان أن يحتمله. ومع ذلك، فإنّ البنايات والآثار والعلامات التي تُنحَت لن تحمينا من أن نصير في طيِّ النسيان، فيومًا ما سوف يتفتّت كل هذا ويؤول إلى تراب. الشيء الوحيد الذي يُمكنه أن يحفظ ذكرانا من النسيان هو إيماننا بأنّ اللّه يعرفنا مِنْ قبل أن نولد، وأنّه سوف يتذكّرنا إلى الأبد.

سُئل مسيحي تقي: "على أي أساس تبني إيمانك بالخلود؟" فأجاب: "إنّني أبني هذا الإيمان على صلاح اللّه وعدم نسيانه، وتذكُّره الأكيد لي".

اللّه يتذكّر:

من أعظم الأمثلة التي تُثبت ذلك هو اللص الذي عُلِّقَ بجوار يسوع، والذي بحزن وأسف شديد على ما اقترفه من آثام، تحوّل إلى يسوع وقال له: "اذكرني يا رب، متى جئتَ في ملكوتك". لقد طلب اللص في آخر لحظة من حياته أن يُذْكَر، وفعلاً فإنّ يسوع تذكّره، ولكن كيف تذكّره ؟ قال له الرب: "الحقّ أقول لك: إنّك اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣: ٤٣).

لمن قال المسيح هذه الكلمات العجيبة؟ هل إلى ملك ؟ هل إلى **قديس عظيم**؟ لا وألف لا، بل إلى لصٍّ خطير عدو للشعب! بل وحتى اسمه فلم يُعلن صراحة في الكتاب المُقدّس. **كانَ هذا الشخص هو الذي تذكّره يسوع.**

قصّة:

قضت امرأة كل حياتها في الخطيّة، وعند نقلها إلى حجرة العناية المركّزة على إثر أزمة قلبيّة مُفاجئة أخذت تسأل الذين حولها: "هل يعبأ اللّه بامرأة مثلي؟"، فأجابتها واحدة من المُمرِّضات:

"بالتأكيد إنّه يعبأ ويهتم، إنّه قد اهتم باللص واهتم بالمرأة الخاطئة واهتم بالعشّار وهو يهتم بزنابق الحقل وبطيور السماء، أما يعبأ بكِ أنتِ التي لأجلها مات المسيح على الصليب؟".

"أليست خمسة عصافير تُباع بفلسين، وواحدٌ منها ليس منسيًا أمام الله، بل شعور رؤوسكم أيضًا جميعها مُحصاة، فلا تخافوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة" (لو ١٢: ٦و٧).

يصف الفيلسوف العملاق **الدكتور ألفريد ويْتهيد** قلب اللّه بقوله: "القلب الحنون الذي لا يمكنه أن ينسى أو أنَ يَضيع منه شيء". فهل نظن أن أي واحد منّا، حتى أدنى أو أفقر أو حتى الأكثر خطيئة أو من ليس له أحد وهو وحيد، يمكن أن ينساه هذا الذي: "قلبه حنون ولا يمكنه أن ينسى أحدًا"؟ يتساءل النبي: "هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحَم ابن بطنها؟" ويجيبه الرب: "حتى هؤلاء ينسَين، وأنا لا أنسى" (إش ٤٩: ١٥).

تذكُرٌ شخصيٌ:

من فوق الصليب الا نجد يسوع يتذكّر اللص التائب فقط، بل يتذكّرَ كل واحد منّا شخصيّاً يكتب **الدكتور بليز باسكال** (تكلّم معي يسوع شخصيًا في منتصف ليلة ٢٣ نوفمبر ١٦٥٤ وقال لي: "يا بليز، لقد كنت أفكّر فيك أثناء جهادي وأنا أصلّي بأكثر لجاجة). إنّ اللّه يحبني هكذا لدرجة أنّه بذل ابنه الوحيد لأجلي أنا الذي أومن به، لكي لا أهلك بل تكون لي الحياة الأبديّة.

المسيح لم يتذكّرنا في آلامه وعلى الصليب فقط، بل سوف يتذكّرنا أيضًا في القيامة. إنّه قال: "أنا حيٌ فأنتُم ستحيون... أنا أمضي لأُعد لكم مكانًا.. . حتى حيث أكون أنا تكونون أنتُم أيضًا" (يو ١٤: ١٩ و٢و٣). ماذا تعني القيامة إذن إلاّ أنّه بعد الموت يوجد اللّه والقيامة، وفي اللّه لا يُنسى أحد. كل واحد منّا سيكون مذكورًا، وفي المسيح فإنّ كل واحد منّا محبوبٌ ومذكورٌ، ليس فقط في هذه الحياة القصيرة، بل وأيضًا بعد الموت وإلى الأبد.

قد يشعر بعضٌ منّا أنّ لا أحد يرغب في أن يتذكّره ولا إلى لحظة في شيء صالح، ولكن ليس اللّه هكذا، إنّ: "ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطُر على بال إنسان، ما أعدّه اللّه للذين يحبونه" (١ كو ٢: ٩). هل يمكن أن يوجد تذكار أو ميراث أعظم من ذلك؟

لماذا نشعر أننا منسيّون ؟

إنّ السبب الذي يجعل كثيرًا من الناس يشعرون أنّ اللّه قد نسيهم هو **أنَّهم هم الذين قد نسوا اللّه**.

فقط في الوقت الذي نتذكّر فيه الرب نجد أنفسنا كأولاد محبوبين للّه، مذكورين أمامه إلى الأبد. عندما ننسى لمن نحن مُنتسبون، فإنّنا في هذا الوقت عينه نشعر أنّنا منسيون.

علينا أن نتذكّر أنّ اللّه أعطانا يوم الرب (يوم الأحد) لنستمع إليه في الكنيسة من خلال كلماته، وأن علينا أن نتناول جسده ودمه ليحيا فينا ويسير معنا قريبًا جدًا منّا مثلما كان مع آدم وحواء في الفردوس الهادئ، وبحضور أكثر قوّة.

يمكننا أيضًا أن نتذكّره كل يوم من خلال حديثنا معه وصلاتنا إليه، وعندئذٍ في تذكُّره سوف نشعر بحبِّه لنا واهتمامه بنا. كما يمكننا أن نتذكرّه عندما يأتينا وهو مُتخَف في: "أحد إخوته الأصاغر"، عندما يأتينا مثل جائع أو عطشان أو عريان أو مريض أو من لَيس له مأوى.

فقط، عندما نتذكّر يسوع في الصلاة، وفي الكنيسة، وفي قراءة كلمته، وفي الأسرار، وفي الجائع، حينئذ يمكننا أن نشعُر كم نحن محبوبون ومذكورون أمام اللّه إلى الأبد. وما إن نشعر نحن أنفسنا ونختبر هذا التذكار الإلهي والحُب المُقدّس، إلا ونجد أنفسنا وقد اتجهنا نحو العالم لنغمُر ونفيض بسخاء على أولئك الذين يشعرون أنّهم مُحتقرون أو منسيِّون.

أنّ الفُرص التي أمامنا ليكون لنا ذكر أو اسم في هذا العالَم هو جَدّ قليلة، وقليلون جدًا هم الذين سوف يتذكّروننا بعد رحيلنا، والعالم سوف يظل في مسيرته كما هو بدوننا، وفيما الناس ينسون أو يتناسون، يبقى يسوع وحده يذكُر ويتذكّر، وقد علّمنا يسوع أنّه من الأفضل والأهم أن يتذكّرنا هو عن أن يتذكّرنا الناس أو العالم. في يسوع سوف تبقى أسماؤنا مكتوبة ومحفوظة في سفر الحياة في السماء، وهذا ليس بسبب أي شيء أرضيّ أنجزناه أو أتممناه، لأنّه أي نوع من الإنجازات كان يُمكن للص وهو يموت أن يكمله سوى إيمانه وتوبته في اللحظة الأخيرة؟ أن يذكرنا اللّه إلى الأبد في السماء، فهذا هو أسخى كَرَم وأعظم عطيّة مجانيّة. إنّ ترجِّي الإنسان: "اذكرني يا رب.." يُقابله وعد المسيح: "اليوم تكون معي في الفردوس".

صلاة:

ربّي وإلهي، أنا لا أطلب رحمتك التي أسبغتَ بها على بطرس. كما لا أجرؤ أن أسأل نعمتك التي أفضتَ بها على بولس. ولكن، أيها الإله الرحيم، امنحني الرحمة التي أفضتها على اللص وهو يموت. أرني وهبني من فضلك هذه الرحمة، إنّني بدموع أتوسل إليك.

كلنا لصوص:

بينما كان يسوع على الصليب كان المُجرمان اللذان عن يمينه وعن يساره يتحدّثان، وكان أحدهما يُجدِّف عليه قائلاً: "إن كنتَ أنتَ المسيح، فخلّص نفسك وإيّانا" (لو ٢٣: ٣٩)، أمّا الآخر فانتهره قائلاً: "أولاً أنتَ تخاف اللّه ؟ إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أمّا نحن فبعدل لأنّنا ننال استحقاق ما فعلناه، وأمّا هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محلّه، ثم قال ليسوع: "اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك"، فقال له يسوع: "الحقّ أقول لك إنّك اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣: ٤٠-٤٣).

دعنا نُمعن النظر في هذه الكلمات الثمينة التي قالها ربُّنا لكي نلحق بعُمق المعاني المكنوزة فيها، وليتنا لا نُقلّل من شأنها بسبب أن الذي يتكلّم معه المسيح كان لصًا. ألسنا كلُّنَا لصوصا؟ أما سرقنا يوم الرب (يوم الأحد) واستخدمناه لنقضي فيه ملذّاتنا؟ ألا نسرق سُمعة الآخرين بالقيل والقال؟ بل ونغتالهم أيضًا بسيوف ألسنتنا؟ أما نسرق الوقت الخاص باللّه عندما نضيعه؟ أما نسرق نفوسنا التي هي للّه ونحاول أن نحتفظ بها لذواتنا؟

والآن بعد أن أدركنا حقيقة أننا لسنا أفضل من هذا اللص، دعنا نتقدّم إلى الأمام باتّضاع لنتأمل في إيمانه وفي إجابة يسوع له: "اليوم تكون معي في الفردوس".

اذكرني:

كانت هذه الكلمة آخر صلاة قدّمها اللص، كما قد تكون حقيقةً أوّل صلاة أيضًا له. إنّه قرع مرّة واحدة، وسأل مرّة واحدة، وطلب مرّة واحدة، وترجّى مرّة واحدة، ثم تجاسر مرّة واحدة ونال الفردوس.

إنّه طلب: "اذكرني". كان يُمكنه أن يقول: "اصفح لي انسَ لي أيّ إنسان كُنتُه، أنسَ لي ماضيّ". كانت هناك مُجازفة للّص في أن يقول: "اذكرني"، لأنّه ماذا سوف يحدث لو تذكّر الرب فعلاً ما يستحقّه اللص؟ كم تكون كارثة أن يتذكّر له كل شيء؟ وإن كان اللّه للآثام مُتذكّراً، فمن منّا يمكنه أن يقف أو أن يثبت أمامه؟

أن تقول: "اذكرني" فهناك مُجازفة ومُخاطرة حقيقيّة، هي مُجازفة الإيمان باللّه. اذكرني يا رب على الرغم ممّا أنا فيه وما أنا عليه، اذكرني في مراحمك. والمسيح حقًا ذكره في غِنى رحمته.

"اذكرني": إنّ اللص لم يطلُب مكانًا مرموقًا في السموات، بينما التلاميذ كانوا يتحاجُّون في مَن يكون الأعظم في ملكوت السموات، حتى إنّ يعقوب ويوحنا كانا يطلُبان مكانين رئيسيّين، عن يمين الرب وعن يساره، أمّا هذا اللّص فلم يطلُب من الرب إلاّ أن يذكره، والرب كافأه وأعطاه الفردوس.

"اذكرني": هذه الصلاة الجميلة التي وَجَدَت استجابة سريعة لدى يسوع نُكرِّرُها كثيرًا في صلواتنا وفي القدّاس الإلهي:
"اذكُر يا رب الذين قدّموا لكَ هذه القوانين، والذين قُدِّمَت عنهم، والذين قُدّمت بواسطتهم، أعطهم كلّهُم الأجر السماوي". إنّنا نسأله أن يذكرنا في رحمته.

"اذكرني يا يسوع"، فأنا واحدٌ من بلايين البشر الذين يطلبون رحمتك. اذكرني، فأنا أعلم أنّني لا شيء. اذكرني، عندما أقع في قبضة اليأس. اذكرني، عندما تُحيط بي التجارب والأحمال وتُقلقني وتُعذبني الوحشة والوحدة والفراغ. اذكرني يا يسوع عندما يُناديني الموت وتنشَب فيّ مخالبه. اذكرني لأنّني أريد أن أظل حيّاً وموجودًا في مكان ما، في ملكوتك.

يا يسوع الملك:

كانت هناك يافطة على الصليب فوق رأس يسوع مكتوبٌ عليها: "يسوع الناصري ملك اليهود"، وكان الهدف منها هو السُّخرية من المصلوب، لأنّه كيف يُمكن أن يكون هذا الشخص الذي يموت مصلوبًا ملكا؟ أمّا بالنسبة للّص فلم تكن اليافطة علامة هكذا، لأنّه نظر إلى المسيح بإيمان ورآه ملكًا، وإن لم يكن لهذا الملك عرش بل صليب، ولم يكن يلبس تاجًا بل إكليل شوك مُنغرس في جبينه، ولا يمسك في يديه قصبة بل كان هناك المسامير التي سمّرته على الصليب، وكذلك لم يكن معه أتباع بل رعاع تموج بالزعيق والسخرية والاستهزاء. ومع أنّ ثوبه الملكي كان في يد الجنود الرومان يلقون القُرعة عليه، إلاّ أنّ اللص التائب أطلّ من وراء ما هو مخفي من العُري وعار الصليب ورأى يسوع في ملكوته الأبدي في السماء وعلى الأرض. وهكذا كان، فبينما جميع التلاميذ كانوا يشُكّون في المسيح باستثناء يوحنا الذي كان بمفرده عند الصليب، نجد أنّ اللّص يتعرّف على الرب ويقول له: "اذكرني... يا رب".

متى جئتَ في ملكوتك:

لما غلبتَ بقوّة الأقنوم، إنفصلت نفسك من الجسد، فمزّقتَ قيود الجحيم والموت كليهما بعزتك أيها الكلمة.

كان اللّص متأكّدًا من أنّ يسوع هو ملكٌ وله ملكوت، لذلك نجده لا يقول: "اذكرني إن كنتَ تأتي في ملكوتك"، أو "اذكرني متى أقمتَ هذا الملكوت"، أو "إذا كنتَ سوف تظل حيًا بعد أن تعبُر هذه الآلام". كان لهذا اللّص هذا القدر الفائق والنوع السامي من الإيمان، وهو يرى جسد يسوع مُمزّقًا بهذا الشكل، ثم يعترفُ به ملكًا، ويقول له: "عندما تأتي بمجدك في ملكوتك العظيم، اذكر هذا اللص البائس المُعلّق بجوارك على الصليب".

اليوم:

كانت الإجابة التي حصل عليها اللّص فوريّة. لم يكُن فيها لحظة تأجيل أو تسويف أو استراحة أو مُدّة زمن تمهيديّة، أو وعد بمطهَر للتطهير أوّلاً، ثم البركة والملكوت في نهاية المطاف، ولكن وَعْدٌ تام الآن: "اليوم تكون معي في الفردوس". **(الكنيسة الغربيّة تعتقد وللأسف أن المطهر هو ضرورة ملحّة للمؤمن قبل الفردوس، وكأنّ دمّ المسيح الكفّاري غير كافٍ؟ وبحاجة للمطهر؟ لغفران خطايا التائبين).**

كان المسيح صامتًا عندما وقف أمام بيلاطس (مت ٢٧: ١٤)، كما كان صامتًا عندما وقف أمام هيرودس (لو ٢٣: ٩)، حتى كان الجمع مُتعجّبًا من صمته أثناء مُحاكماته، ولكن عندما قال اللّص وهو على شفا الموت: "اذكرني..." كانت الإجابة فوريّة: "اليوم..." وكان هذا اليوم هو يوم ميلاده. لقد منح يسوع اللّص بركة لم يكن أحدٌ يتوقّعها أو يتصوّرها، ولم تكُن مُجرّد وعود أو آمال أو توقُّعات: "نعم، سوف أذكُرُك"، ولكنه كان تأكيدًا مُذهلاً مُدهشًا لم يسمع مثله العالم من قبْل: "اليوم... هذا اليوم نفسه... تكون معي في الفردوس".

معي:

لم يكُن وعدُ يسوع للص مُجرّد كلام عابر، ولكنّه قال للّص: "تكون معي"، دائمًا في حضرتي، دائمًا بجانبي، دائمًا في قلبي. قال يسوع من قَبْل: "آخرون يكونون أوّلين" (مت ٢٠: ١٦)، والآن، ها هو الأخير والأقل – لصٌ يموت – يصبح أوّل من يدخُل الفردوس. هذا هو المكان الذي يُريد يسوع أن نكون دائمًا معه فيه

الآن وفي كل أوان وإلى الأبد: "تكونون معي، حتى حيث أكون أناتكونون أنتُم أيضًا"، أليست هذه جزءًا من صلاة يسوع الختاميّة والوداعيّة: "أيُّها الآب، أريد أيضًا أنّ الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنّك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو ١٧: ٢٤).

في الفردوس:

"اليوم تكون معي" أين؟ "في الفردوس". مَن ذا الذي يستطيع أن يعد بالفردوس إلاّ اللّه نفسه وحده؟ وهو يقول هذا الوعد لشخص منبوذ. لاحظ أنّ هذه هي المرّة الأولى في خدمة يسوع التي يستخدم فيها كلمة فردوس، ولشخص آمن وتاب فتح المسيح للتو باب الحياة الأبديّة والمجد السماوي وفردوس النعيم. كان المسيح قد أوضح من قبْل في مَثَل الفَعَلَة (أصحاب الساعة الحادية عشرة) أنّ الذي يعمل ساعة واحدة ينال نفس الأجر الذي يناله الذين يعملون كل النهار.

يكتُب الستارتز (الأب الروحي) سلوانس *Staretz Silouan* الروسي، الراهب الأرثوذكسي الذي عاش على جبل آثوس ويقول:

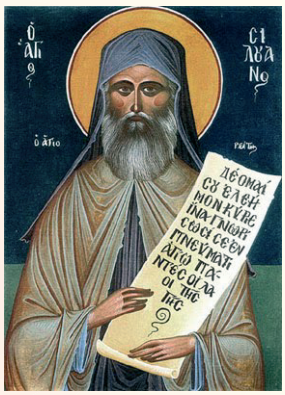

القدّيس سلوان الآثوسي

"أعطى السيِّد الفردوس للّص، وهكذا هو يعطيه لكل خاطئ. أنا قبيحٌ وقذرٌ بخطاياي، ولكنّني ذهبتُ إلى اللّه من أجل الغفران، وهو لم يمنحني المغفرة والصفح فقط، بل وهبني أيضًا الروح القُدُس الذي من خلاله أعرف اللّه". هذا هو الفردوس، لأنّ الفردوس يبدأ هنا والآن ويستمر إلى الأبد.

مأساة اللّص:

إنّ مأساة اللّص هي في كونه أضاع كل حياته في الخطيئة، ولكن عليك أن تفكِّر كيف كانت حياة اللّص ستصير مُتغيّرة تمامًا إذا هو عاشها مؤمنًا بالمسيح يتبعه مثلما حدث في موته؟! إن كان الموت يكون مُباركًا هكذا بالإيمان بيسوع، هكذا بالمثل تمامًا يمكن أن تكون الحياة مباركة. ليست المسيحيّة هي مُجرد موت في بَرَكَة، ولكنها أكثر من هذا، إنّها أيضًا حياة في بَرَكَة. كم نكون مُقصّرين إن كنّا لا نحيا: **في المسيح ومعه!**

وبالمناسبة، فإنّ هذه هي الحالة الوحيدة والفريدة في الكتاب المقدّس التي نجد فيها شخصًا يتوب وهو على فراش الموت. لا يوجد أي مكان آخر في الكتاب نجد فيه شخصًا قد خلُص في اللحظة الأخيرة وهو في النزع الأخير، ولكن أعطانا اللّه هذه الحالة الوحيدة ليُوضّح لنا أن لا زال في الوقت فُرصة، ومع ذلك فهو لم يُعطنا إلاّ مثالاً واحدًا لكي لا نستغل الموقف.

إذا عاشَ الإنسان حياته بدون اللّه، فإنّ قلبه يتقسّى، حتى إنّ آخر ما يرد على فكره عند موته لا يكون ذكر اللّه، ولكن التفكير في حسابات البنك أو في شرائح اللحم الرقيقَة، أو في مختلف الأمور الدنيويّة التي كان ينشغل بها. لهذا فإنّ تأكيد الإنجيل المُستمر لنا هو: "هوذا اليوم وقتُ القَبول، هوذا الآن يوم الخلاص" (٢ كو ٦: ٢: ترجمة حسب النص).

عندما طُلب من شاب يعيش حياة الانحلال والخطيّة أن يتوب، فإنّه قال بوقاحة: "ما زال أمامي مُتّسعٌ من الوقت لكي أفعل ذلك فيما يخص الدين، تذكّر يا أخي **اللّص على الصليب**". فقال له صديقه بحماس: "**أي لص تقصد**؟ لأنّه كان هناك لصٌّ آخر لم تأته الساعة الحادية عشرة قط".

ماذا نتعلّم من هذه الحادثة؟

تُعلِّمنا قصّة اللّص التائب عدّة حقائق هامّة: الحقيقة الأولى:

إنّها تُعلّمنا أنه لا زالَ هناك مُتّسع من الوقت للتوجُّه نحو يسوع. قد يكون الوقت مُتأخرًا بالنسبة إلى بعض الأمور في الحياة، وتقول: "صرتُ الآنَ كبيرًا في السن ولا أستطيع أن أقوم الآن بهذه المهام، لقد فات الوقت"، قد نستطيع أن نقول هذا بالنسبة لأمور الحياة، ولكن ليس هكذا الحال بالنسبة للعودة إلى المسيح، إنّه سوف يقبلنا إلى النهاية، وإنّ قصّة اللّص التائب تُبيِّن لنا بوضوح. أنّه لا توجد خطيّة أعظم من رحمة اللّه أو تفوق نعمته، كما أنّه لا توجد ساعة في الحياة هي متأخِّرة عن الذهاب إليه.

الحقيقة الثانية: يتّضح لنا بجلاء أن السيّد المسيح مات بين لصّين، لأنّ كل حياته كرّسها للخطاة، وكما كان في حياته، هكذا في موته، لم ينفصل عنهم قط. لقد كان هدف مجيئه هو البحث عن الضال من أجل أن يُنقذه.

الحقيقة الثالثة: نحن جميعًا يصفنا ويُعبِّر عنّا هذان اللِّصان. اللّص الذي على اليسار عيّر المسيح وجدّف عليه بدون إيمان، ودخل الأبديّة التعيسة بدون المسيح، أمّا الآخر الذي على اليمين، فقد صرخ إلى المسيح بإيمان، وقال له المسيح: "**اليوم تكون معي في الفردوس**"، **ونحن بمَن من الاثنين سوف نتمثل؟ هل سنقبَل المسيح أم سنرفضه؟ إنّ أبديّتنا تتوقّف على هذا القرار.**

الحقيقة الرابعة: تُبيِّن لنا هذه القصّة أنّه يوجد لدى الله دائمًا مُتسعٌ من الوقت لنا. نحن نسمع الناس كثيرًا ما يقولون: "هل تظُن أنّه يوجد وقتٌ عند اللّه لي؟ إنّك لا تعلم كم أنّ حياتي ملخبطة. إنّك لا تعلم كم من مشاكل تُقابلني، والخطايا والضغوط الواقعة عليّ". أمّا الإجابة التي لا لُبس فيها ولا ثنائيّة فهي: "نعم يوجَد لدى اللّه وقتٌ لك!"، فبينما كان يسوع يموت على الصليب، كان لديه وقتٌ ليهب الفردوس للصِّ، ولا بدّ أنّ لديه متسعًا من الوقت لك، إن أتيتَ إليه تائبًا معترفًا بخطاياك، ومؤمنًا بكفاية دم صليبه للخلاص.

صلاة: يا سيِّد، حتّى في وقت نزعك مع الموت، كُنتَ مشغولاً بالأرواح التي مُتّ لتخلّصها. يا سيِّدي، من أجلها أنتَ صلّيت، ومن أجلها أنتَ ذُقت الموت، ومن أجل واحد منها قد بسطتَ الدعوة بقولك: "اليوم تكون معي في الفردوس"، يا رب لك المجد. آمين.

إنّ يوسف إلتمسَ من بيلاطس الجسد الكريم، وحنّطه بطيوب إلهيّة، ولفّه بسباني نقيّة، ووضعه في قبرٍ جديد. لذلك النسوة حاملات الطيب أدلجن هاتفات: أظهر لنا أيّها المسيح قيامتك، كما سبَقتَ فقلتَ.

تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

السيّد المسيح والقديس يوحنّا المعمدان. كنيسة آجيا صوفيا للروم الأرثوذكس في القسطنطينية

تتمة من العدد السابق

حتى نستقبل ملك الكل

يرفع خادم السرّ القرابين الكريمة في يده ، ولا بُدّ له أن يمرّ عبر التوبة : يقترب من المائدة المقدّسة تائباً مثل الإبن الشاطر.

ومزمور التوبة الذي يتلوه الكاهن بينما يبخّر ، الطروباريّات الخشوعيّة ، السجود للمائدة المقدّسة ، وللمذبح المقدّس ، طلبة الغفران من اللّه ومن المشاركين لهُ في الخدمة ومن الشعب ، كلّ هذه الأمور هي تعابير خارجيّة عن شعور التوبة الداخليّ لخادم السرّ. بمثاله يشير الكاهن على المؤمنين بطريق التوبة ، وهو بالتالي "صورة ليوحنا المعمدان الذي بدأ كرازته قبل المسيح قائلاً: «توبوا ، فقد اقترب ملكوت السموات».

الكاهن ـ صورة للمعمدان ـ يحثّنا على تهيئة "طريق الرب" ، أي الطريق الذي سيقودنا إلى المسيح. وهذا الطريق هو «**التوبة**». هكذا بينما يتهيّأ "للدخول الكبير" كلّ من الكاهن والشعب ، نعيش نحن انتظار المسيح بتوبة. الكاهن ، كما المعمدان المجيد، "يحرّك معموديّة التوبة". والمسيح، فيما سيتبع ، يقدّم لنا حياته. "الذي هو كائن ناري بالكليّة ولا يمكن للملائكة الأقتراب منها أو احتمالها" ها هو يُقَرِّب غذاء للمؤمنين ، وكلّ مؤمن "يتناول النّار فَرِحاً ومرتعداً ... إذ إنّه يتندّى بحال لا توصَف".

بالتوبة نقترب من الحياة: "إذا كان أحدهم قدّيساً فليتقدّم ، وإذا لم يكن ، فليقترب عبر التوبة" ، كما يقول الكاهن في القداس الإلهيّ. أمّا التوبة ففتحت طريق الحياة: "الخطيئة موت؛ فمن هو الذي سيموت بسببها وبمقدوره القيامة من تلقاء نفسه؟ لا أحد إطلاقاً" . نلتجيء إذاً بالتوبة إلى المنزّه عن الخطيئة ، الذي هو «**القيامة والحياة**».

بالتوبة نَلِج إلى القدّاس الإلهيّ. القدّاس الإلهيّ هو الخروج من الخطيئة والدخول إلى الملكوت: "أخرجي يا نفسي من أرض حرّان الخطيئة ، وهلمّي إلى أرض تنبت عدم فساد دائم الحياة".

وفقاً لأقدم نصّ ليتورجيّ ، يقول الكاهن: "لتشرق النعمة وليغربْ العالم". في الحقيقة القدّاس الإلهيّ يقودنا إلى أرض النعمة. إلى هناك يرغب القدّيس مكسيموس أن يأخذنا. والنسبة لهذا المختبر العظيم للأسرار الإلهيّة وحقائقها ومعلّم المؤمنين كيفيّة ولوجها ، فإنّ الدخول الكبير هو بداية ومقدّمة للتعليم الجديد الذي سيحصل في السموات في شأن تدبير اللّه لأجلنا وانكشاف سرّ خلاصنا المحجوب في أعماق السريّة الإلهيّة. إنّه تعليم حاصل بفعل ذبيحة «**المعلّم**» . إنّه فعل ينير قوله (قول المسيح).

ثمّ يقول **الشمّاس**: إرفع يا سيّد

فيرفع **الكاهن** الستر الكبير ويضعه على كتفيّ الشماس قائلاً: بسلام ارفعوا أيديكم إلى الأقداس وباركوا الربّ.

ثمّ يعطي الصينيّة إلى الشمّاس ، أما هو فيأخذ الكأس المقدّسة قائلاً: صعد الربّ بتهليل. الربّ بصوت البوق.

ومتى وصل الشعب إلى قوله: "لنستقبل ملك الكل" ، عندها يخرج الشمّاس ومن بعده الكاهن من الباب الشماليّ ، فيجري الخروج (الأيصوذن) الكبير بمسيرة تدور دائرة الكنيسة إلى أن تصل إلى وسط الكنيسة. وحالما تبدأ المسيرة يصرخ **الشمّاس** قائلاً: جميعكم ليذكر الربّ الإله في ملكوته كلّ حين ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

وبعد ذلك يرجع الشعب إلى ترتيل بقيّة الشروبيكون. أمّا **الكاهن** فيضع القرابين الكريمة على الأنديمينسي ويقول: إنّ يوسف المتّقي أحدَرَ جسدك الطاهر من العود ولفّه بكتّان نقيّ مع طيوب وشيّعه ، ووضعه في قبر جديد.

ثم يقول **الشمّاس**: أصلح يا سيّد.

فيبخّر **الكاهن** القرابين قائلاً تتمّة المزمور الخمسين ويكرّر ثلاثاً: حينئذ يقرّبون على مذابحك العجول ، وارحمني يا اللّه.

نقل القرابين المكرّمة إلى المائدة

في "الدخول الصغير" يُغطّي الكاهن وجهه بالإنجيل الشريف: أتى المسيح ليكرز بكلمته. في "الدخول الكبير" يغطّي الكاهن وجهه بالقرابين الكريمة: المسيح آتٍ ليُذبَح.

الكاهن، كما يقول البّار نيقولاوس كاباسيلاس، يأتي إلى المذبح المقدّس، وعندما يرفع القرابين المقدّسة بكثير من الورع إلى علوّ رأسه، يخرج. هو ينقل القرابين المقدّسة إلى المائدة، منتقلاً عن قصد في الكنيسة بين المؤمنين، رويداً رويداً، خطوة خطوة. المؤمنون يرتّلون ويركعون بتقوى ... والكاهن يتقدّم مصحوباً بمصابيح (شموع) ومباخر ويلج إلى المائدة المقدّسة.

ما يقوم به المؤمنون ـ أي التسبيح الشروبيمي، المصابيح، المراوح ـ يساعدنا على عيش حَدَث قدوم المسيح. يساعدنا على عيش "دخول كلّ القدّيسين، بينما تسير في المقدّمة قوّات شروبيميّة وجنود ملائكيّة وتسبقهم على نحو غير منظور أجواق عادمة الأجساد ومراتب غير هيوليّة، يسبّحون جميعاً ويحتفّون بالملك العظيم، المُسَبّح، الآتي لأجل الذبيحة السريّة" (القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينيّة).

المسيح، محفوفاً بالمراتب الملائكيّة، يدخل إلى قدس الأقداس مُمْسكاً بيديه الطاهرتين. **إنّه حياتنا، وحياة العالم كلّه**. القرابين الكريمة هي الإنسان والعالم وقد عادوا، **بالمسيح**، إلى اللّه. هذه العودة، عودة الإنسان والعالم نحو اللّه تتحقّق بالدخول الكبير.

وتحثّنا كنيستنا المقدّسة قائلة: "لنطرح عنّا كلّ اهتمام دنيويّ" فلنستودع الآن حياتنا للمسيح الذي يقتبلها بفرح ليقودها عبر الموت إلى قيامته هو. ولكنّ تقدمة حياتنا الخاصّة، للمسيح "هي موت كصورة ورسم، بينما القيامة إلى الحياة، هي حياة حقيقيّة"

بينما يتمّم الكاهن خدمة تقدمة الذبيحة، أودعنا في القرابين الكريمة حياتنا كلّها: أوجاعنا وأفراحنا، أعداءنا وأصدقاءنا، القريبين والبعيدين، الأحياء والراقدين، كلّها هي الآن في يديّ المسيح. وهو مَن يَدخُل بها إلى حضرة الآب.

بينما يعبر المسيح بجانبنا، وإذ نحنُ لا نرتدي لباس العُرس لنفرشه على طريق الجلجثة، نفرش جسدنا: نسجد إلى الأرض طالبين مثل اللّص: «أذكرني يا ربّ في ملكوتك». نسأله أن "**يذكرنا**"، أي أن يرفعنا من النسيان ويضعنا في "**الحق**" لنستطيع نحن أيضاً أن "**نتذكّره**" بسرّ تذكاره.

نقل القرابين من المذبح المقدّس إلى المائدة المقدّسة "يُشير إلى قدوم الربّ من بيت عنيا إلى أورشليم". ملك الملوك يدخل المدينة المقدّسة. الكاهن يغدو الجحش الذي لم يجلس عليه أحدٌ قطّ، ولذلك جُعلَ أهلاً لينقل ملك المجد. والمؤمنون يستقبلون المسيح بالتسابيح: "هَلُمَّ بالأغصان، نسبّح المسيح بإيمان كالأطفال، مطهّرين النفوس عقلياً، ونهتف إليه بصوت عظيم: مباركٌ أنت يا مخلّص، يا من وافى إلى العالم وصارَ آدم جديداً كما ارتضى ليُنقذ آدم من اللعنة الأولى، ودبّر الكلّ إلى الموافق ... أيّها الكلمة المحبّ البَشر، المجد لك".

إنّ يوسف المتّقي أحدَرَ جسدك الطاهر من العود

وضع القرابين الكريمة فوق المائدة المقدّسة وإغلاق الباب الملوكيّ هما الحركتان الأخيرتان من الدخول الكبير، وترمزان إلى الآلام الطاهرة ودفن الربّ.

لذلك فعندما يضع الكاهن الكأس المقدّسة والصينيّة المقدّسة فوق المائدة المقدّسة يقول الطروباريّة: "إنّ يوسف المتّقي أحدَرَ جسدك الطاهر من العود" ... "الصينيّة كما يقول القدّيس جرمانوس هي عِوَض يديّ يوسف ونيقوديموس اللذين دفنا المسيح".

الستر الكبير الذي به يغطّى الكاهن القرابين الكريمة هو رمز للأكفان التي بها كفّن يوسف جسد المسيح، بينما البخور يذكّر بالطيب. وأخيراً، فإنّ إغلاق الباب الملوكيّ يرمز إلى ختم قبر المسيح.

والكاهن أثناء الدخول الكبير يقوم بعمل من دَفَنَا المسيح، يوسف ونيقوديموس، وهو معهما في تلك الساعة يتأمّل "المرتدي النّور كالسربال". معهما "يندب بإشفاق قائلاً: ويلي يا يسوع الحلو! ... كيف أُضْجِعُك يا إلهي؟ أو كيف أُلُفّك بالأكفان؟ بأيّة أيد ألامس جسدك المنزّه عن الفساد؟ أو أيّة نشائد أُنشد في مأتمك يا رؤوف؟ فأعظّم آلامك وأسبّح دفنك وقيامتك هاتفاً: يا ربّ المجد لك".

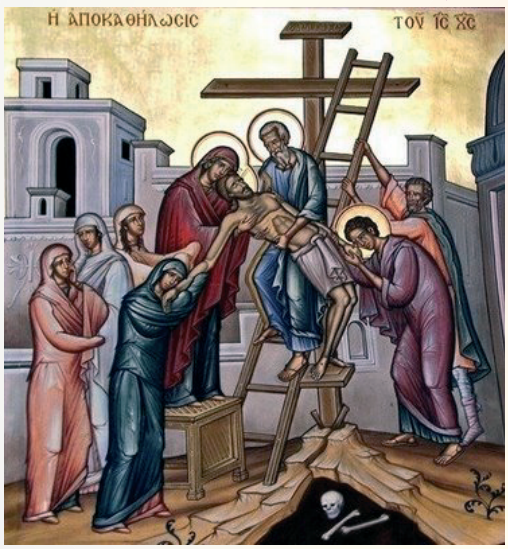

ثمّ يقول **الكاهن** نحو الشمّاس أذكرني يا أخي المشترك معي في الخدمة.

ويجيب **الشمّاس**: كهنوتك يذكر الربّ الإله في ملكوته كلّ حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.

ثم يحني **الشمّاس** رأسه للكاهن ويقول: صلِّ من أجلي أيّها السيّد القدّيس.

و**الكاهن** يقول: الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلّلك.

و**الشمّاس** يقول: هذا الروح نفسه ليؤازرنا في الخدمة كلّ أيّام حياتنا. أذكرني أيّها السيّد القدّيس.

الكاهن: شموسيّتك يذكر الربّ الإله في ملكوته السماويّ كلّ حين ...

الشمّاس: آمين. ويُقَبّل يمين الكاهن ويخرج من الهيكل ويقول الطلبات.

يتبع في العدد القادم

الموت المحيي

للقديس صفرونيوس بطريرك المدينة المقدسة أورشليم للروم الأرثوذكس

القديس صفرونيوس بطريرك المدينة المقدسة أورشليم للروم الأرثوذكس

صفرونيوس عبد يسوع المسيح المصلوب لأجلنا, يُرسل السلام والتحية للأب صفنيا مدبِّر الإخوة الذي يهتم بالضعفاء أكثر من الأقوياء، ويرد الشاردين بمحبة الرب. أكتب لمحبتكم جميعًا عن الأسبوع العظيم الذي أسَّس فيه الرب شركتنا الأبدية في آلامه وصلبه وقيامته، وأعطانا بذلك الميراث السماوي الذي لا يفنى. (١بط١:٤)

١) ـ عجيبٌ هو تدبير الرب الذي – بمحبته التي لا يمكن أن نعبِّر عنها – جاء للخلاص من الموت ومن الخطية، فرفع حُكم الدينونة بالصليب وقتل العداوَة (اف٢:١٥-١٦) وصلَبَ الأهواءَ، ودَفنَ الطبيعَة القديمَة في القبر، وأقامها بمجد خلود اللاهوت، وصبَرَ على الألم لكي يجعله طريقًا للخلاص، ويحوِّله من ثمرة للخطية إلى ثمرة للبر ؛ بسبب القيامة التي جعلت الألم مثل مخاض الولادة، وبسبب سُكنى الروح القدس فينا في سِرّ المسحة الإلهية التي جعلت خَتم الصليب خَتمًا أبديًا يلتصق بالجسد في زيت الميرون، ويلتصق بالنفس بقوة ومجد الإبن وفاعلية الروح القدس، فأنار بذلك ذهن الإنسان الجديد مؤكِّدًا له أنَّ موت الصليب هو بذرة الحياة الجديدة التي تخرج من البذرة القديمة مثل الشجرة؛ لأنه لم يرذل الطبيعة الإنسانية الفاسدة، بل أخذها وحوَّلها فيه إلى طبيعة جديدة مجيدة غالبة الموت.

٢) ـ عندما نرتِّل تسبحة البصخة، فإننا نرتِّل لمجد المصلوب حتى لا ننسى أننا أمام الملك العظيم رب المجد ورب القوات الجالس على الشاروبيم حتى وهو متجسِّدٌ ؛ لأن القوات السماوية دُهشت من تواضع الرب الذي حملته ركبتيَ البتول والدة الإله، وفرحت بما صار للإنسان؛ لأن حسد الشيطان للجنس البشري لم تشترك فيه القوات الروحية المقدسة التي رأت الخليقة الأولى، فأدركت صلاح اللّه ورحمته. ورأت الخليقة الجديدة، فدُهشت من عمق المحبة الإلهية، واستنارت بإعلان الخلاص، ودُهشت بالتسبيح لمن أخذ صورة العبد لكيَ يعطي الإنسانيَة صورته وهو ما نبارك الرب عليه مؤكِّدين أن العزة هي لمن خلق كل الأشياء من العدم، والآن يخدم سرّ الخلاص من أجل حنوِّه الفائق.

٣) ـ لقد تألم الرب لأجلنا، وكانت آلامه روحيَّة قبل أن تكون جسدية. تألم لأنه جُرِحَ من أحبائه. وتألم لأن نفسه الإنسانية المتحدة بلاهوته ذاقت الأحزان في البستان عندما سُلِّم بقبلة الخائن، وتركه الذين عاشوا معه. هؤلاء تمكَّن الخوف منهم فهربوا لكي يبقى الرب وحده حسب قول النبي: «دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي»(اش٦٣:٣) ورسَمَ الربُ طريق الخلاص، لكي يكون هو المخلِّص وحده، ولكي لا ينال الإبن معونةً من أحد، وهو الذي يعين كل الذين يحتاجون إلى معونة. وهكذا درَّب الرب نفسه على السلوك الجديد، سلوك آدم الثاني رب الخليقة الإله المتجسد الذي يجعل جسده ونفسه الإنسانية تدخل آتون التجارب لكي تصير بقوة اللاهوت المتحد بنفسه وجسده قاعدة الخلاص الأبدي للإنسانية؛ لأن الخوف الذي جَرَحَ طبيعة الإنسان وجعله يترك طريق اللّه ويختار طريق الخطية ظنًا منه أنه الطريق السليم، لم يكن يُعالَج إلاَّ بمواجهة مع الخوف من الموت في البستان، وعلى الصليب وفي القبر؛ لأن نفسه الإنسانية نزلت إلى الجحيم بقوة اللاهوت، وأنارت على الذين كانوا في ظلمة الجحيم. وداست على قوة الشيطان «الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ» (عب٢ : ١٤)، وأبادته بقوّة وعزّة رب الخليقة الذي نزل إلى حفرة الموت لكي يسترد الإنسانية من براثن العدو الأول أي الموت، والعدوّ الثاني أي الشيطان.

٤) ـ هكذا أسَّس الربُ الخلاص الأبدي عندما سمح للموت أن يفصل نفسه عن جسده، فجاء الإنفصال من داخل الأقنوم الواحد، ولم يُفرض عليه؛ لأنه غَلَبَ «أَوْجَاعَ الْمَوْتِ» (أع ٢:٢٤) حسب بشارة الرسول بطرس في يوم العنصرة، ولأن الموت يعجز عن أن يمسك به (أع٢ : ٢٤)، بل أمسك هو به وأسَرَهُ وداسَهُ، وجعل الانفصال عزّة للخليقة الجديدة؛ لأنه صار انفصال القديم عن الجديد، وولادة شجرة الحياة الجديدة من البذرة القديمة.

كان الموتُ حدًا فاصلا ومانعا لا يمكن عبوره، فعبره الرب عندما أغلق فم الهاوية، ومزَّق كتاب الدينونة، وحوَّله الربُ إلى خادم مطيع يخدم الخليقة الجديدة، فتحوَّل من حَدٍّ يفصل الحياة عن البقاء الدائم، إلى حَدٍّ يفصل الطبيعة الفاسدة عن الخلود والبقاء الدائم. وحوَّله من مانع يسدّ على الإنسان طريق شجرة الحياة إلى مانع يمنع الإنسان من أن يقع أسيرًا للخطية،

ولم يحدث هذا بالقول، بل بالفعل. وهذا هو سرّ تدبير الرب في تجسده وآلامه الطوعية (الإختيارية) وصلبه وقيامته.

لقد ذاق الربُ الموتَ بالجسد على الصليب، وهو الذي أقام الموتى، وهو ما يجعل الكنيسة الجامعة تبدأ طقس الأسبوع العظيم بسبت لعازر مؤكِّدَة أن السبت هو سبت راحة من الموت، وهو يسبق السبت الكَبير، وذاق الربُ الموتَ بالجسد، وأخذ الموت، أي انحلال وحدة الكيان الإنساني، وذاقه، وانحلَّتْ نفسه من الاتحاد بالجسد ، ووُضِعَ الجسدُ في القبر ونزلت النفس إلى الجحيم دون أن ينفصل الجسد والنفس عن اللاهوت، وهكذا جَمَع اللاهوتُ عناصرَ الموت كلها: القبر والهاوية والدينونة، وأباد الثلاثة **في كيانه المتجسد**، وأباد الشيطان وداسَهُ في عقر داره أي الجحيم.

٥) ـ وعندما ضم الربُ إلى كيانه القبرَ والجحيم بواسطة جسده ونفسه ، جعل القبرَ بداية الأرض الجديدة؛ لأن التراب الذي خُلِقَ منه آدم، والذي سمع عنه حُكم الدينونة، هو ذات التراب الذي قيلَ له «لأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك ٣:١٩).ولما دُفن التراب في القبر، حوَّل التراب إلى الأرض الجديدة التي تثمر للحياة الغالبة. أمَّا الهاوية، وهي كورة الظلام والموتى، فقد صارت بلا قوة؛ لأن برق اللاهوت أشرق في ظلمة الجحيم، ولأن ظلام عدم الحياة قد انتهى عند الصليب. **وهكذا عادت نفسه واتحدت بجسده**، نفسه الإنسانية التي تمثل نفوسنا جميعًا، وجسده الإنساني الذي يمثل أجسادنا جميعًا، **عادت نفسه واتحدت بجسده**؛ لأن قوة الإتحاد هي في اللاهوت. هذا الإتحاد لم يكن اتحادًا طبيعيًا، حسب طبيعة آدم الأول، بل صار إتحاد الغلبة الذي لا تقوى عليه قوة الموت؛ لأن إتحاد النفس بالجسد حسب الخليقة الأولى قابل للإنحلال، أمَّا اتحاد النفس بالجسد حسب الخليقة الجديدة غير قابل للإنحلال، ولذلك عندما نترك نحن الجسد، فإن الجسد حتى وإن تحوَّل إلى تراب، لازال هو الجسد الذي مُسِحَ بزيت الميرون الإلهي، ولازال يحمل هذه المسحة وهو ينتظر قيامة الأبرار. وكما انفصلت نفسُ الرب عن جسده، تنفصل نفوسنا عن أجسادنا، ليس بالموت الآدمي الذي داسه الرب، بل بموت الرب الذي غلب كل انفصال؛ لأن الرسول بولس يهتف مع الخليقة الجديدة: «مَن الذي يفصلنا عن محبة المسيح أَشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خَطَر أم سيف. كما هو مكتوب إنَّنا من أجلكَ نُماتُ كُلَّ النهار . قد حُسبنا مثلَ غَنم للذبح. ولكنّنا في هذه جميعها يَعظُمُ انتصارنا بالذي أحبّنا. فإنّي متيقّنٌ أنّه لا موت ولا حيوة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علوَ ولا عُمقَ ولا خليقةَ أُخرى تَقدرُ أن تَفصلنا عن محبّة اللّه التي في المسيح يسوع ربّنا»(رو٨:٣٥–٣٩)، أي الموت الآدمي والحياة الآدمية والقوات غير المنظورة .... هؤلاء جميعًا عاجزون تمامًا عن أن يفصلوا

عضوًا واحدًا في جسد المسيح الكنيسة عن الرأس، الرب يسوع المسيح. والسبب في ذلك هو أننا بموت الرب الذي هدم الإنفصال لم يعُد الموتُ انفصالا، بل انتقالا وترتيبًا للنفس لكي ترى الحياة الجديدة، وتتعلم أسرار الحياة الروحية الفائقة. وهكذا تؤكد الكنيسة – بصوت الرسل والآباء القديسين – «لا يكن موتٌ لعبيدك، بل هو إنتقال» (صلاة الراقدين)، ونحن لا نلعب بالكلمات والألفاظ، بل نعلن سرّ المسيح في قوّة وعزّة ابن اللّه. تأملوا معي أيها الأخوة كيف انفصلت النفس عن الجسد في السقوط؟ وكيف انفصلت النفس عن الجسد على الصليب؟ كان السقوط هو عار الخطية وظلام الموت، ولكن على الصليب إنفصلت النفس عن الجسد بقوة اللاهوت، وهو ما يجعلنا نؤكِّد قوة الرب وقوة صليبه المحيي . كيف صار هذا؟ بعد أن جاز الربُ آلامَ الموت وصرخ: «إلهي، إلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» (مت ٢٧:٤٥) ، وقال: «أَنَا عَطْشَانُ» (يو١٩: ٢٨) ، بعد هذا قال عبارة الإنتصار: «يَا أَبَتَاهُ ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو٢٣:٤٦)، فأكَّد بذلك نهاية الانحلال الإنساني؛ لأن نفسه التي تمثل نفوسنا جميعًا استقرت في يدي الآب، وبذلك عَبَرَتْ مانع الموت الذي كان يمنع كل الصديقين من الدخول إلى السماء. ولما استودع الرب روحه، أي نفسه الإنسانية في أيدي الآب نزل بقوة لاهوته المتحد بنفسه الإنسانية والتي تحمل قوة الآب ومصالحته إلى الهاوية، وهناك بدَّد عرش الشيطان ودكَّ كل حصونه القوية وأطلق أرواح الأسرى.

٦) ـ يقول الرسول بطرس إن قدرة الرب الإلهية «قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ» (٢بط١:٣) ، وهو بذلك يؤكِّد قدرة الرب التي أبادت الموت، وفتحت طريق الفردوس، وأعطتنا شجرة الحياة، وهو ما يجعل الرسول يقول إن الرب يسوع دعانا بالمجد والفضيلة الذين بهما معًا – وليس بالمجد وحده؛ لأن المجد بلا فضيلة هو شهوة الشيطان أن يصير مثل اللّه، وهي ذات خطية آدم، ولكن الرب بالمجد والقداسة والبر – «وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ» (٢بط١:٤). والمواعيد العظمى «مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو١١ :٢٥). والمواعيد الثمينة «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.» (يو١٧:٢٤)، فكيف نَنظر مجده الأزلي إلاَّ إذا كنا معه؟ ولذلك يقول الرسول أن تصيروا «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢بط١:٤)، ونحن شركاء الطبيعة الإنسانية بسبب تجسد الرب، أمَّا شركتنا في اللاهوت، فقد جاءت بالصليب والقيامة.

على الصليب أباد الربُ الموتَ، فجعل الطبيعة الإنسانية غير قابلة للموت. وعلى الصليب وفي القبر أباد الربُ الفسادَ، وحوَّل إنحلال الجسد إلى بداية جديدة تتحول فيها عناصر الجسد إلى مجد الخليقة الجديدة. وفي الجحيم أباد الربُ الشيطان وقوته وفتح لنا أحضان الآب، ولذلك قال بفمه الإلهي: «أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ»(يو١٧:٢٤)، وبذلك أسَّس شركتنا في اللاهوت، وهو ما يعلنه مرّة ثانية في كلامه المحيي: «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي» (رؤ٣:٢١). هكذا نشترك في الطبيعة الإلهية بواسطة الوسيط الواحد ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه فديةً عن كثيرين (راجع مت٢٠:٢٨– مر ١٠:٤٥)، فقد فدى الطبيعة المأسورة للموت والفساد وحرّرنا وفكَّ رباطات الإنسانية بقوة صليبه المكرم وأعادنا إلى الفردوس وأعطانا أن نأكل من شجرة الحياة، جسده الإلهي ودمه الكريم المقدس في كل شيء، والذي يُقدِّس الذين يتناولونه.

٧) ـ يقول معلم الأمم ورسول المسيح بولس الحكيم في أقوال اللّه إن الآب «أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الخَطِيَّةِ ، وَلأَجْلِ الخَطِيَّةِ ، دَانَ الخَطِيَّةَ فِي الجَسَدِ» (رو٨:٣). حكم الربُ على شبه جسد الخطية، أي الناسوت الذي أحبه الإنسان وفضَّله على اللّه نفسه، وهو ما جعل الرسول يقول محبة الجسد عداوة للّه. ولكن جاء الصليب حُكمًا بالموت على الطبيعة الخاطئة، لكي بموت الطبيعة القديمة تموت الخطية. جاء حكم الموت من المحبة الإلهية للثالوث التي لم تقبل أن يحيا الإنسان في الفساد إلى الأبد، ولا أن يبقى تحت سلطان الموت والشيطان. جاء الابن كلمة الآب ونزل إلى حقارتنا لكي يرفعنا إليه. نزل إلى «وَادِي ظِلِّ المَوْتِ» (مز٢٣: ٤). جاء السيد إلى العبيد الأسرى، ولم يُطلق سراحهم ليعودوا من جديد إلى العبودية، بل صُلِبَ لكي يصلب الدينونة، ولذلك ترنم بولس الإلهي في دهشة الفرح «لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ» (رو٨:١)، ومات على الصليب لكي تموت معه وفيه الطبيعة المستعبدة للموت . وصُلِبَ لكي تُصلب معه كل الفرائض القديمة ورباطات الشريعة القديمة (كو٢:١٤)، ولذلك ينشد الرسول قائلا «وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الخَطَايَا وَغُلْفَةِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الخَطَايَا » (كو٢:١٣). وبموت الناسوت ماتت الطبيعة الإنسانية، ولكن موت الصليب ليس هو حكم الموت الذي صدر على الإنسان «يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تك٢:١٧)، بل هو موتُ فداء وخلاص، ولذلك نُنشد نحن الأسرى: «، قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصا ... لأن لك القوة والمجد أيها المسيح إلهنا ..» . جاء الرب لكي يموت ويصبح موته حياةً لنا؛ لأنه لم يبادل موتًا بموت، بل قبل موت آدم لكي يبيد ذلك الموت، ويجعل الصليب ينبوع سرائر (أسرار) الكنيسة، فوُلدَت المعمودية والمسحة ووليمة الدهر الآتي من الصليب ومن القيامة . وُلدَت المعمودية التي نُصلبُ ونموتُ فيها مع الرب (رو٦:٣). وثبَّت الربُ عطية الروح القدس بالصليب المكرَّم، وهو ما يعلنه ترتيب سر المسحة بأختام الصليب (رشومات الميرون) التي تُوضع على أجسادنا وتدخل في أعماقنا وتنير العقل وتطهر القلب وتقوي الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله في سرّ الميلاد الجديد.

ولأن الرب مات على الصليب، وأباد الموت تمامًا، لم يعُد جسده المقدس قابلا للفناء، ونحن نوزِّعُه ميراثًا لا يفنى؛ لأنه غلب الموت. ونأكله ونحيا به، وهو لا ينتهي؛ لأنه قهر القبر. ونتحد به اتحادًا كاملا دون إنفصال؛ لأنه غلب الإنفصال. ولولا غلبة الموت على الصليب لما استطعنا أن نأكله كله حيًّا ومُحيِّيًا ؛ لأن بالموت انفصالا ونهايةً وفسادًا، ولذلك عندما نوزِّع جسد الرب، فنحن لا نعطي للمتناولين منه جزءً، بل جسدًا كاملا تامًا للرب الإله المتجسد، ونتحد به: بنفسه الإنسانية التي تُقدس نفوسنا، وبلاهوته المجيد لكي نشترك في مجده.

٨) ـ هكذا تمت دينونة الخطية على الصليب – ليس فقط – بإشهار فسادها وعجزها، ولكن بعطاء ينبوع الحياة الجسد والدم المكرمين، وأيضًا بالشركة في الطبيعة الإلهية التي هي أساس شركتنا في كل سرائر (أسرار) الكنيسة المقدسة.

٩) ـ أيها الأب المكرم (صفنيا) والمحبوب من اللّه الآب في ابنه الوحيد، ليكن لنا معًا شركة في المسيح إلهنا بالصليب، بروح البذل وبخدمة الأخوة، وبالتضحية بكل ما هو ثمين، لا بما هو رخيصٌ؛ لأن الذي مات لأجلنا وأحيانا لم يكن رخيصًا، بل عظيمًا، بل هو العظمة الحقيقية. علِّم الأخوة أن الحوار هو حوار الصليب – ليس فقط برشم الصليب على الفم إذا احتدم الجدل – بل بقبول الآخر من أجل الذي غفر لنا جميع خطايانا بموته المحيي. وعندما نخدم بعضنا البعض، لتكن لنا خدمة الإبن الوحيد ربنا يسوع المسيح، أي لا نسأل المكافأة، ولا نطلب المديح، ولا نسعى لكي ننال استحسان الآخرين من أجل الذي أخذ صورة العبد، وهو الإبن الأزلي. وعندما نأكل ليكن لنا طعام حقيقي، وهو الصليب المكرم، ليس فقط عندما نضعه على الخبز أو نرشم هذه العلامة على الطعام، بل لنأكل في عدم اهتمام بالكم ولا بحساب النوع، بل بما هو فيه منفعة حقيقية؛ لأن الذي مات على الصليب لم يكن يهتم **با جُلْد والمسامير**، ولا خاف من عار الصلب، بل كما يقول الرسول: «نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ. فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ.» (عب١٢:٢–٣). لذلك أيها الأحباء، لنخدم – **مهما كانت الخدمة** – من أجل الذي نزل إلى أعماق الجحيم لكي نفرح معه، ولكي ندرك بذل محبته. لننام نوم الصليب قائلين مع المصلوب: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو٢٣:٤٦). وعندما ننهض من النوم لنرشم أعضاء أجسادنا لكي نؤهل للحياة الجديدة؛ لكي ندرك أننا وُهبنا هذه الحياة لكي نتحرر من الأهواء ونستعد لمقابلة عريس نفوسنا ربنا يسوع المسيح.

أخيرًا، صلُّوا لأجلنا؛ لأننا ونحن نستعد معًا لننال بركة الصوم المقدس ومجد الأسبوع العظيم، لنطلب سلامًا للعالم، وهدوء للكنائس، وقداسة وحياة لكل الذين يعرفون ربنا يسوع المسيح. صلُّوا لكي يكون لنا فرح القيامة في كل حين، وفي كل يوم كما كان يفعل (إيليا النبيّ) وكذلك أنطونيوس الكبير الذي كان قانونه «حيٌّ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم»، ولأن الرب حيٌّ، فنحن أحياءٌ به وفيه. الآن وإلى دهر الداهرين . آمين. ■

قيامة المسيح هي إبادة الموت

للمتقدّم في الكهنة جوارجيوس ميتالينوس
عميد كليّة اللاهوت في جامعة أثينا

نقلها من الروميّة لغتنا الأصيلة إلى العربية الأب أنطوان ملكي

الحدَث الأكثر أهمية في التاريخ هو **قيامة المسيح**. إنه حدث يميّز المسيحية عن كل الأديان الأخرى التي أسّسها قادة مائتون، بينما رأس الكنيسة هو المسيح القائم من بين الأموات. «قيامة المسيح» تعني تألّه الطبيعة البشرية وقيامتها، والرجاء بتألّه أقنومنا وقيامته. كون الدواء اكتُشف، إذاً هناك رجاء بالحياة.

بقيامة المسيح، كلا الحياة والموت يأخذان معنى جديداً. «الحياة» الآن تعني الشركة مع اللّه. لم يعد «**الموت**» نهاية هذه الحياة الحاضرة، بل هو ابتعاد الإنسان عن المسيح. انفصال النفس عن الجسد المائت لم يعد يُنظَر إليه على أنه «**موت**»؛ إنه هجوع مؤقّت.

إن قيامة المسيح هي ما يثبت فرادته واستثنائيته كمخلّص قادر على أن يحيينا فعلاً ويبثّ في حياتنا الفانية حياته الغالبة للموت.

المسيح واحد؛ القيامة واحدة ؛ وإمكانية الخلاص–التألّه هي واحدة أيضاً. لهذا السبب، أملنا بأن نتخطّى كل التجارب التي تلخبط حياتنا **موجّه نحو المسيح؛ مسيح القديسين، مسيح التاريخ.**

«**المسيح**» المشوّه الموجود في الهرطقات أو المسيح «المستَنسَب» الموجود في أديان العصر الجديد التوفيقية الشمولية، ما هو إلا رفض للمسيح الحقيقي، كما للخلاص الذي يمنحه. مسيح قدّيسينا هو أيضاً مسيح التاريخ، وهو يستبعد كل إمكانيات الخلط بينه وبين البدائل الخلاصية التي يتمّ اختراعها لتضليل الشعوب؛ إذ إن الطريقة الوحيدة التي بها يمكن للخديعة أن تمسك بما هو احتيالي: بتسهيل سيطرة قوى ضد المسيح (**التي تسربت إلى كل شيء حتّى إلى الكنيسة**)، القوى التي بالرغم من أنها تنشر الموت في طريق الشعوب، تظهر «**كملائكة النور**» و«**خدّام العدالة**».

عندما ندرس خبرة قدّيسينا، نعرف أنه ما من وجود أكثر بؤساً من وجود «الذين لا رجاء لهم» (رجاء القيامة)، لكونهم يرون أن الموت البيولوجي هو الهلاك والنهاية. للأسف، لقد استسلم العلم لهذه الحالة المأساوية ، بسعيه **المستقتل** إلى أساليب لإطالة عمر الإنسان والإيحاء بأنه قادر على تَخطي الموت الطبيعي. إلى هذا، على نفس المستوى من البؤس هُم أولئك، وحتى المسيحيون منهم، الذين أُسروا بالرؤى الألفية «**المُحكَمَة**» عن سعادة كونية وأخروية فاتَرة، وبالتالي فقدوا معنى القيامة الحقيقي مُضَحّين بما هو فوق الكوني من أجل ما نهايته في الكون، بالأبدي من أجل الزائل.

قيامة المسيح كقيامة الإنسان وكل الخليقة تكتسب معنى فقط في إطار مفهوم الفداء الآبائي؛ بتعبير آخر، في الصلب والاشتراك في القيامة مع المسيح.

هكذا **حفظت الأرثوذكسية القيامة في التاريخ**. في إخلاصها الأبدي للقيامة، تميّزت الأرثوذكسية بأنها «**كنيسة القيامة**» لكونها شيّدت كل حضورها التاريخي على أساس القيامة، **مُطَعّمَةً** وعي شعوبها برجاء القيامة، وهذا حقيقة ظاهرة في استمرارها الحضاري.

هذه الشعوب ، تعلّمت أن تُبَدد على ضوء القيامة الظلمة التي تخللت سني العبودية (**كالحكم التركي في اليونان والشيوعي في روسيا**) التي خلالها لم يتردد الشعب عن تكرار «**المسيح قام**»، راجين قيامة مجتمعاتهم معه.

ضمن هذا الإطار تأتي الدعوة المملوءة رجاءً «**هلمّوا خذوا نوراً**». إنها دعوة إلى النور القيامي غير المخلوق الذي يُمنَح فقط للذين طهّروا قلوبهم من الرذائل والأهواء. من دون «تطهير» القلب، أي التوبة، يعجز المرء عن الاشتراك بنور القيامة. التوبة هي السموّ فوق الخطيئة التي هي سبب موتنا.

هذا هو الواقع الذي يذكّرنا به القول الرهباني المتميّز في جبل آثوس: «**إذا متَّ قبل أن تموت، فلن تموت عندما تموت**».

المسيح قام من بين الأموات وداس الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور

بشــــــارة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم للآباء الروم القديسين

باسيليوس الكبير ، غريغوريوس النيسي ، مكسيموس المعترف ، يوحنا الدمشقي، أثناسيوس الآثوسي ، غريغوريوس بالاماس .

عيد بشارة العذراء مريم هو **عيد للسيّد** وَ **لوالدة الإله**. إنه عيد للسيّد لأن المسيح هو مَن حُبِلَ به في رحم العذراء ، وهو عيد لوالدة الإله لأنه يشير إلى الشخص الذي ساعد في حمل كلمة اللّه وتجسّده أي مريم العذراء الكلية القداسة.

لمريم والدة الإله قَدرٌ عظيمٌ وموقعٌ مهم في الكنيسة، وذلك بالضبط لأنها كانت الشخص الذي انتظرته كل الأجيال ولأنها أعطت الطبيعة البشرية لكلمة اللّه. وهكذا يرتبط شخص والدة الإله عن كثب بشخص المسيح. إلى هذا، قَدْر العذراء مريم لا يعود لفضائلها وحده بل أيضاً لثمرة بطنها بشكل أساسي. لهذا السبب ، الدراسة اللاهوتية حول والدة الإله (Theotokology) مرتبط جداً بالدراسة اللاهوتية لشخص المسيح (Christology). عندما نتحدّث عن المسيح لا نستطيع إهمال التي أعطته الجسد. وعندما نتحدّث عن العذراء مريم نشير بنفس الوقت إلى المسيح لأن منه **تستدرّ النعمة والقَدْر**. هذا يظهر بوضوح في **خدمة المديح** حيث تُمتدَح والدة الإله ولكن دوماً في توافق مع حقيقة أنها والدة المسيح «إفرحي يا تاجاً للملك. إفرحي يا حاملة حامل كل الخليقة».

يظهر هذا الارتباط بين الخريستولوجيا والثيوتوكولوجا في حياة القديسين أيضاً. إن محبة العذراء مريم هي صفة مميّزة للقديسين أعضاء جسد المسيح الحقيقيين. من المستحيل أن يصبح قديساً مَن لا يحبها. بشارة والدة الإله هي بداية كل الأعياد السيدية. في طروبارية العيد ننشد: «اليوم رأس خلاصنا وظهور السر الذي قبل الدهور...» تشير فحوى العيد إلى رئيس الملائكة، وهو الملاك المولَج بكل الأحداث المتعلّقة بتجسّد المسيح، يزور العذراء مريم، بأمر من اللّه، مُخبراً إياها بأنّ أوان تجسّد كلمة اللّه قد آن، وأنها سوف تكون أمّه (أنظر لوقا١:٢٦-٥٦). تتألّف كلمة البشارة (باليونانية) من كلمتين، الحَسَن والرسالة وهي تعني الرسالة الحسنة أو الإعلان الحَسَن. هذا يشير إلى الإعلام الذي أُعطي برئيس الملائكة بأن كلمة اللّه سوف يتجسّد لخلاص البشر.

جوهرياً، هذا هو إتمام وعد اللّه الذي أُعطي عند سقوط آدم وحواء (تكوين٣:١٥)، والمسمّى بالإنجيل الأول (proto-evangelion). لهذا السبب إعلان تجسد كلمة اللّه هو أعظم بلاغ في التاريخ. بحسب القديس مكسيموس المعترف، إنجيل اللّه هو شفاعة الله وتعزية البشر من خلال ابنه المتجسّد. في الوقت نفسه، إنّه مصالحة البشر مع الآب الذي يمنح التألّه (Theosis) غير المولود كمكافأة للذين يطيعون المسيح. يسمّى التألّه غير مولود لأنه ليس مولوداً في الذين يستحقونه بل بالأحرى هو مُعلَن لهم. بالتالي، التألّه الممنوح من خلال المسيح المتجسّد ليس ولادة بل هو كشف شخصي (enhypostatic) عن الاستنارة للذين يستحقون هذا الكشف. الإعلان الحَسَن، الإنجيل، أو البشارة هو تصحيح للأحداث التي جرَت عند بداية خلق الإنسان في فردوس عدن الحسي.

هناك بدأ السقوط ونتائجه من امرأة ؛ وهنا من امرأة تبدأ كل الأمور الحسنة. وهكذا، العذراء مريم هي **حواء الجديدة**. هناك كان الفردوس حسياً، وهنا الكنيسة. هناك آدم وهنا المسيح. هناك حواء

وهنا مريم. هناك الحيّة وهنا جبرائيل. هناك وشوشة الحية لحواء وهنا سلام الملاك لمريم. بهذه الطريقة **تُصَحَّح** خطيئة آدم وحواء. رئيس الملائكة نادى العذراء مريم بالممتلئة نعمة قائلاً: «افرحي يا ممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنتِ في النساء» (لوقا١:٢٨-٢٩).

تُدعى مريم ممتلئة نعمة وتُوصَف بالمباركة لأن اللّه معها.

بحسب القديس غريغوريوس بالاماس وغيره من الآباء، لقد كانت العذراء مريم ممتلئة نعمة منْ قَبْل البشارة وليس أنها امتلأت نعمة في هذا اليوم. كونها قد بقيت في قدس أقداس الهيكل فقد بلغت قدس أقداس الحياة الروحية أي التألّه. إذا كان فناء الكنيسة مؤسَّساً للموعوظين والهيكل للكهنة، فإن قدس الأقداس مخصص لرئيس الكهنة. هناك دخلت مريم العذراء، ما يرمز إلى أنها بلغت التأله. معروف أن في الزمن المسيحي، صحن الكنيسة كان مخصصاً للموعوظين والدنسين، الكنيسة للمستنيرين أي أعضاء الكنيسة، وقدس الأقداس أو الهيكل للذين بلغوا التألّه. وهكذا، بلغت العذراء مريم التأله حتى قبل استقبالها رئيس الملائكة. وكما يفسّر القديس غريغوريوس بالاماس بطريقة رائعة وملهّمة من اللّه، فإن مريم استعملت طريقة خاصة لمعرفة اللّه والشركة معه نحو إذ كان هدفها التألّه. هذا يشير إلى السكون أي الطريقة الهدوئية. لقد عرفت العذراء مريم أن لا أحد يستطيع فهم اللّه بالعقل والحواس والخيال أو المجد البشري. هكذا أماتت كل قوى النفس التي تأتي من الحواس، ومن خلال الصلاة النوسية **فَعلّت** العقل. بهذه الطريقة بلغَت الاستنارة والتألّه. ولهذا السبب أُعطيت أن تكون والدة المسيح وأن تعطي جسدها للمسيح. هي لم تملك مجرد فضائل بل نعمة اللّه المؤلِّهة. لقد حازَت العذراء مريم ملء نعمة اللّه بالمقارنة مع غيرها من الناس. بالطبع، المسيح، ككلمة اللّه، حاز كامل النعَم، وقد اكتسبَت العذراء مريم ملء النعمة من كامل ملء نعَم ولدها. لهذا السبب، هي دون المسيح بالمقارنة معه، لأن المسيح حائز على النعمة بالطبيعة، بينما مريم حائزة عليها بالمشاركة. بالمقارنة مع المؤمنين، إنها أعلى منهم. لقد اكتسبَت العذراء مريم ملء النعمة من كامل ملء نعَم ولدها قبل الحَبَل وفي الحَبَل وبعد الحبل. قبل الحبل، ملء النعمة كان كاملاً، وفي الحبَل ازداد كمالاً، وبعد الحبَل صار أكثر كمالاً (القديس نقوديموس الأثوسي).

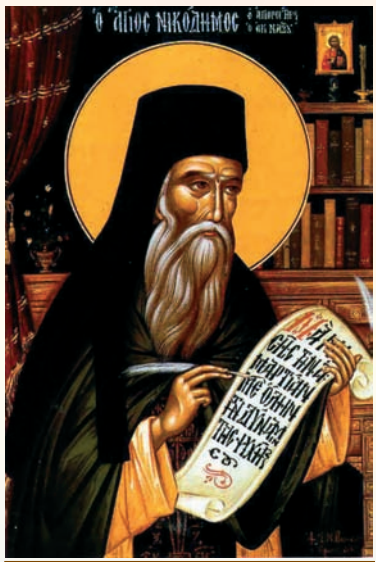

القديس نقوديموس الأثوسي

هكذا كانت العذراء مريم عذراءَ في الجسد وعذراءَ في النفس. وهذه العُذريّة الجسديّة عندها هي أرفع وأكثر كمالاً من عذريّة نفوس القديسين التي تتحقق بقوة الروح القدس. ليس من إنسان مولوداً متحرراً من الخطيئة الأصلية. لقد ورث الجنس البشري سقوط آدم وحواء ونتائج هذا السقوط. كلمة الرسول بولس واضحة: «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد اللّه» (رومية ٣:٢٣). يُبْرِز هذا المقطع الرسولي أن الخطيئة هي الحرمان من مجد اللّه وبالتالي ما من أحد متحرر منها. وهكذا، وُلدت العذراء مريم بالخطيئة الأصلية. لكن متى تحرّرت منها؟ ينبغي بالجواب على هذا السؤال ألاّ يُبنى على وجهات النظر السكولاستيكية. في البداية يجب أن نذكر أن الخطيئة الأصلية هي الحرمان من مجد اللّه والتغرّب عنه وفقدان الشركة معه. ولهذا الأمر مفاعيل حسّية ، لأن الفساد والموت دخلا إلى جسدي آدم وحواء.

في التقليد الأرثوذكسي، لا يعني الكلام عن ميراث الخطيئة الأصلية ميراث الشعور بالذنب لهذه الخطيئة، بل بالدرجة الأولى يعني ميراث نتيجتيها أي **الفساد والموت**. تماماً كما تمرض أغصان النباتات وأوراقها عندما يموت جذرها، هكذا حدث مع سقوط آدم. كل الجنس البشري صار مريضاً. **الفساد والموت** اللذان ورثهما الإنسان هما المناخ المفضّل للأهواء وبهذه الطريقة صار فكر الإنسان **معتماً**. لهذا السبب بالتحديد ساعد اتّخاذ المسيح هذا الجسد المائت والمتألّم من خلال تجسده على تصحيح نتائج سقطة آدم. لقد كان هناك تألّه في العهد القديم، كما كان هناك استنارة للفكر، لكن الموت لم يكن قد أبيد بعد. لهذا السبب ذهب كل الأنبياء معايني اللّه إلى الجحيم.

بتجسّد المسيح وقيامته، تألهت الطبيعة البشرية وهكذا أُعطيَت لكل إنسان إمكانية التألّه. ففي المعمودية المقدّسة نصبح أعضاء جسد المسيح المؤلّه والقائم من بين الأموات، لهذا السبب نقول أنّ بالمعمودية المقدسة يتحرّر الإنسان من الخطيئة الأصلية. عندما نطبّق هذه الأمور على حالة العذراء مريم يمكننا أن نفهم علاقتها بالخطيئة الأصلية وتحررها منها. وُلدت العذراء مريم بالخطيئة الأصلية وورثت في جسدها كل نتائج **الفساد والموت**. بدخولها إلى قدس الأقداس بلغت التألّه. هذا التألّه لم يكن كافياً ليحررها من نتائج السقوط وهذا بالضبط لأن الطبيعة الإلهية لم تكن قد اتّحدت بعد مع الطبيعة البشرية في أقنوم الكلمة. وهكذا، عند لحظة اتّحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في رحمها بقوة الروح القدس، تذوّقت التحرر من الخطيئة الأصلية ونتائجها. إلى هذا، فالسقوط تمّ في اللحظة التي فيها فشل آدم وحواء في جهادهم الشخصي الحرّ. ولهذا السبب، في لحظة البشارة، بلغت العذراء مريم حالةً أعظمَ من تلك التي كان عليها آدم وحواء قبل السقوط. لقد أُعطيَت أن تتذوّق غاية الخليقة وهدفها، كما سوف نرى في التحليل الآخر.

لهذا السبب، لم يكن من داعٍ للعنصرة لدى العذراء كما لم يكن من ضرورة لمعموديتها. ما اختبره الرسل في يوم العنصرة عندما أصبحوا أعضاء جسد المسيح بالروح القدس، وما يحدث لنا جميعاً خلال سرّ المعمودية، حدث للعذراء مريم قبل يوم العنصرة. لقد تحررت من الخطيئة الأصلية ليس بمعنى أنّها تخلّصت من الذنب بل قد بلغت التألّه بنفسها وتجسّدها بسبب اتحادها بالمسيح. في هذه الأطر ينبغي تفسير كلام **القديس يوحنا الدمشقي** بأن العذراء مريم في يوم البشارة تلقّت الروح القدس الذي طهّرها وأعطاها قوة تقبّل ألوهية الكلمة مع قوة الولادة في وقت واحد. أي أن العذراء مريم تلقّت من الروح القدس نعمة

مطهِّرة ولكن أيضاً نعمة لتتقبل كلمة الله كإنسان وتكون قادرة على ولادته. إن رَدّ العذراء مريم على إعلام رئيس الملائكة لها بأنها سوف تُعطى أن تلد المسيح كان معبِّراً: «هئذنا أمة للرب. ليكن لي بحسب قولك» (لوقا١:٣٨). هنا تظهر طاعة العذراء مريم لقول رئيس الملائكة وأيضاً طاعتها للّه أمام حدث غريب وشاذ بحسب المنطق البشري. هكذا أخضعت منطقها لإرادة اللّه.

يدّعي البعض بأنه في تلك اللحظة كل أبرار العهد القديم، لا بل كل البشرية، انتظرت بقلق لتسمع جواب العذراء مريم، خوفاً من أن ترفض وألا تطيع إرادة اللّه. إنهم يتمسّكون بهذا لأن في كل مرة يقع الإنسان في هكذا مأزق، وبالضبط لأنه حُرّ، يستطيع أن يقول نعم أو لا، كما حدث في حالة آدم وحواء ، الشيء نفسه كان ممكناً حدوثه مع العذراء مريم. في أي حال، لم يكن ممكناً لها أن ترفض، ليس لأنها كانت بلا حرية بل لأن كان عندها الحرية الحقيقية.

يُميّز **القديس يوحنا الدمشقي** بين الإرادة الطبيعية والإرادة العنيدة. يتشبث المرء بإرادته عندما يتميّز بجهله لأمر ما، بالشك وفي النهاية بعجزه عن الاختيار. هذا يشير إلى التردّد حول ما يفعله. يكون المرء ذا إرادة طبيعية عندما ينقاد بطريقة طبيعية من دون تردد ولا جهل إلى تحقيق الحق. وهكذا يبدو أن الإرادة الطبيعية مرتبطة بالرغبة، بينما العناد مرتبط بكيفية ما نريد، وفوق هذا أن يتحقق ما نريد إنما بشكوك وتردد. بالنتيجة، تتضمن الإرادة الطبيعية كمال الطبيعة بينما الإرادة العنيدة تتضمن نقص الطبيعة، لأنها تفترض مسبقاً شخصاً من دون معرفة للحق وغير واثق مما عليه أن يقرره.

ومع أن للمسيح إرادتان بسبب طبيعتيه الإلهية والبشرية، إلا إن له إرادة طبيعية من وجهة النظر التي ندرسها هنا. لم يكن لديه إرادة معاندة. كإله، هو دائماً يعرف إرادة اللّه الآب، وليس فيه أي تردد أو شك.

يختبر القديسون هذا الأمر بالنعمة أيضاً، وخاصةً العذراء مريم. فلأنها بلغت التألّه كان من المستحيل أن ترفض إرادة اللّه وألاّ تقبل بالتجسد. لقد كان عندها الحرية الكاملة ولهذا فقد عملت حريتها دوماً طبيعياً وليس بخلاف الطبيعة.

نحن عندنا حرية غير كاملة لأننا لم نبلغ التألّه، إرادتنا العنيدة، ولهذا نحن نتردد في ما نقوم به. سؤالها «كيف لي هذا وأنا لم أعرف رجلاً؟» (لوقا١:٣٤)، يُظهر الاتضاع وضعف الطبيعة البشرية، لكنّه أيضاً يُظهر غرابة الأمر إذ قد كان في العهد القديم ولادات عجائبية ولكن ليس من دون زرع. **لقد تمّ في يوم البشارة حمل مباشر بالمسيح بقوة وفعل الروح القدس** .

في إحدى الثيوطوكيات ننشد: «إن جبرائيل لمّا تفوّه نحوك أيتها العذراء بالسلام، تجسّد الرب فيك». هذا يعني أن الحَمَل لم يحتَج لساعات وأيام لكنه حدث بالضبط في تلك اللحظة. رئيس الملائكة جبرائيل أخبر يوسف خطيب والدة الإله: «لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (متى١:٢٠). لقد ولَدَت العذراء مريم المسيح كإنسان لكن الحبل به كان من الروح القدس.

في تفسيره لهذه الآية، وتحديداً عبارة «مولود من الروح القدس»، يقول **القديس باسيليوس الكبير**: أن كل شيء صادر عن شيء غيره يُدَلّ عليه بكلمات ثلاث. الأولى هي «**بالخلق**»، أي كما خلق اللّه العالم بقوته.

الثانية هي «**بالولادة**» أي كما وُلد الابن من الآب قبل الدهور. الثالثة هي «**طبيعياً**» تماماً كما تصدر القوة من كل طبيعة، أي الإشراق من الشمس، وبشكل أكثر تعميماً العمل من فاعله.

القديس يوحنا الدمشقي

في ما يتعلّق بالحبل بالمسيح بالروح القدس، فالتعبير الصحيح هو أنه حُبل بالمسيح بقوة الروح القدس **بالخلق** وليس **بالولادة ولا طبيعياً**.

يعلّم القديس يوحنا الدمشقي أن ابن اللّه وكلمته ضمّ إلى نفسه، بدماء والدته النقية والطاهرة، الجسد الحي إلى نفس عقلية ونوسية، ليست من زرع بل مخلوقة بالروح القدس.

بالطبع، عندما نتحدّث عن الحبل بالمسيح في رحم والدة الإله بقوة الروح القدس وفعله المُبدع يجب ألاّ نفصل الروح القدس عن الثالوث القدوس. معلوم من التعليم الآبائي أن قوة الإله الثالوثي مشتركة. خلق العالم وإعادة خلق الإنسان والعالم تمّت وتتم بقوة الإله الثالوثي المشتركة. بالتالي، لم يخلق الروح القدس جسد المسيح وحده بل الآب أيضاً والابن، أي كل الثالوث القدوس. التعبير عن هذه الحقيقة هو أن الآب أيّد تَجَسُّد ابنه، وابن اللّه وكلمته بذاته اجترح تجسده والروح القدس أنجزه.

لقد تم الحبل بالمسيح في رحم مريم بصمت وسريّة وليس بجلبة وضجيج. لم يكن أحد لا من الناس ولا الملائكة ليفهم هذه الأمور العظيمة التي كانت تجري.

لقد تنبأ النبي العظيم داود بهذا الحدث قائلاً: «ينزل مثل الندى على الجزَّة ومثل القطر القاطر على الأرض» (مزمور٧١:٦). تماماً كما أن المطر الذي ينحدر على الجزة لا يسبب أي صوت أو أي فساد، الشيء نفسه تمّ خلال البشارة والحبَل. لم يسبب المسيح بالحبل به أي تشويش أو فساد لعذرية العذراء مريم. لهذا السبب بقيت العذراء مريم عذراء قبل الولادة وفي الولادة وبعدها. هذه هي **النجمات الثلاث** التي يضعها كاتبو الأيقونات دائماً على جبين العذراء مريم وعلى كتفيها.

إن اتحاد الطبيعة الإلهية والبشرية في أقنوم الكلمة، في رحم العذراء، يشمل تألّه الطبيعة البشرية المباشَر. هذا يعني أنه منذ اللحظة الأولى، عندما اتحد الإلهي بالطبيعة البشرية، بدأ تألّهها. قول القديس يوحنا الدمشقي مميز: «في لحظة البشارة، في تلك اللحظة تجسّد الله الكلمة». هذا يعني أنه لم يكن هناك فارق زمني بين الحمل بالطبيعة البشرية وتألّهها، بل هذا تمّ فوراً عند الحمل.

نتيجة لهذا الحَدَث ينبغي تسمية العذراء مريم **والدة الإله** لأنها بالفعل ولدت الإله الذي حملته لتسعة أشهر في رحمها، **وليس إنساناً حاملاً نعمة اللّه**. لهذا السبب تُسمّى العذراء مريم والدة اللّه، وبالتحديد لأنها حملت المسيح بالروح القدس. ينبغي التشديد على هذا لأن في الماضي جرت مشادة لاهوتية كبيرة حول ما إذا كان ينبغي تسمية العذراء مريم **والدة الإله** أو **والدة المسيح**. للمناقشة الخريستولوجة نتيجة في المناقشة المريمية (theotokological). فالمناقشة اللاهوتية الكبيرة التي جرت في الماضي سببها وجود تعاليم هرطوقية. إلى هذا، إن التثبيت النهائي للتعليم القائل بأن العذراء مريم ولدت الإله، وأنه مباشرة مع اتّخاذ الطبيعة البشرية كان تألّه هذه الطبيعة، تمّ في المجمع المسكوني الثالث.

الهرطوقي نسطوريوس، مستعملاً عبارات فلسفية ومتأمّلاً بشرياً قال بأن العذراء مريم هي من البشر ولهذا يستحيل أن تلد الإله. الطفل الذي كان في داخلها لم يكن إلهاً بل بشرياً. الإله فقط «**مرّ عبرها**» أو «**عبر**» من خلال والدة الإله. بالطبع، كان هناك مشكلة في لاهوته حول العلاقة بين طبيعتي المسيح. لقد آمن نسطوريوس بأن جسد المسيح كان ضمنياً متّحداً بطبيعة اللّه. الكلمة لم يكن الإله، بل كان متحداً بالإنسان وسكن فيه. وعلى أساس هذه الافتراضات سمّى العذراء مريم والدة المسيح وليس والدة الإله. في أي حال، فالمسيح هو **إله-إنسان**، إله كامل وإنسان كامل ، وكل طبيعة تصرفت «**في شركة**» في أقنوم الكلمة.

سوف نتطرّق إلى هذا الموضوع عندما نتحدّث عن ولادة المسيح. مع أن هنا يجب أن نشدد على أن الطبيعة البشرية تألّهت مباشرة مع اتحادها بالطبيعة الإلهية في الكلمة في رحم والدة الإله. لهذا السبب سُميت العذراء مريم والدة الإله لأنها ولدت الإله بشرياً.

إن تألّه الطبيعة البشرية المباشَر بالطبيعة الإلهية للكلمة لا يعني أن صفات الطبيعة البشرية أُلغيَت. هذا يُظهر أن التكوّن والحمل في الرحم وأيضاً ولادة المسيح تمّت كلّها بالطبيعة وفوق الطبيعة. فوق الطبيعة لأنها الروح الكلي قدسه أتمّها بشكل خلاّق وليس بالزرع طبيعياً، لأن الحمل في الرحم تمّ بالطريقة التي يُحمل فيها الأطفال بالرحم. في أي حال، هناك نقطة نبغي التشديد عليها. في كل حمل هناك مراحل إلى أن تتم الولادة. التكوّن هو البداية، ثم بعد بعض الوقت تُرسَم أعضاء الجسد، من ثمّ شيئاً فشيئاً تنمو وبحسب درجة نموه تأتي الحركة. بالنهاية، عندما تكتمل يخرج من رحم أمه.

أمّا في الطفل الإلهي فعندنا ازدياد شيئاً فشيئاً ومع ذلك لم يكن هناك فترة زمنية بين التكوّن ورسم الأعضاء. يقول **باسيليوس الكبير**: «مباشرة ما تكوّن كان كاملاً في الجسد، لم يتكوّن الشكل تدريجياً». علينا أن ننظر إلى هذا من وجهة نظر أن أعضاء جسده رُسمَت مباشرة فقد خُلق إنساناً تاماً ولكن برغم ذلك لم يوجد في صيغة الأشهر التسعة. لقد تمّا تدريجياً مع أن جسده كان مشكّلاً منذ البداية. إن الحمل بالمسيح تمّ في رحم والدة الإله بالروح القدس بطريقة مبدعة وليس بالزرع، لأنه كان ينبغي بالمسيح أن يأخذ طبيعة آدم النقية التي كانت له قبل السقوط. بالطبع، تبنّى المسيح جسداً متيسّراً وقابلاً للموت، كالذي صار لآدم بعد السقوط، لكي يغلب الفساد والموت، لكنه في كل الأحوال نقياً تماماً وبلا عيب كما كان قبل السقوط. وهكذا، كان جسد المسيح من جهة الطهارة كما كان جسد آدم قبل السقوط، بينما من جهة قابلية الموت والفساد فهو كما كان جسد آدم الساقط. بالنتيجة لقد تمّ الحمل بالروح القدس لأن الطريقة التي يولَد بها الإنسان اليوم، أي بالزرع، هي بعد السقوط.

بحسب القديس غريغوريوس بالاماس، حركة الجسد نحو الولادة ليست متحررة من الخطيئة، لأنه فيما اللّه قد حدّد العقل ليحكم الإنسان، فهو تصرّف بلا خضوع خلال حركة الجسد. وهكذا، فإن طبيعة المسيح النقية مرتبطة بالخَلق وليس بالحمل من خلال الزرع.

هذا الحدث بالتحديد مرتبط بشدّة بحقيقة أن الحمل بالمسيح وحمله في الرحم وولادته هي كلها بلا جهد ولا ألم ولا لذة. إذاً المسيح حُبل به، وحُمل في الرحم كطفل وولُد من دون لذة، من دون كدح ومن دون ألم. لقد حُبل به من غير زرع لسببين أساسيين. الأول ليحمل طبيعة البشر الصافية، والثاني ليولد من دون فساد وبطريقة لا ألم فيها. بنفس الطريقة التي ولدت العذراء مريم بيسوع من دون لذة، كذلك حفظته في رحمها طوال تسعة أشهر من دون جهد ولا وزن. لم تحس بوزن بالرغم من أن الطفل الإلهي كان ينمو بشكل طبيعي وله وزن الجنين. وهكذا تحققت نبوءة النبي أشعياء: «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة» (أشعياء١٩:١). عبارة «**سحابة سريعة**» تعني الجسد البشري الذي كان خفيفاً لدرجة أنه لم يسبب أي وزن أو جهد للعذراء مريم خلال فترة حمله لتسعة أشهر في رحمها. إن حمل العذراء مريم بلا زرع ولا لذة والحمل في الرحم من دون جهد شبيه بميلاد المسيح الخالي من الخطأ والألم.

بحسب القديس غريغوريوس النيسي، يوجد علاقة قوية بين اللذة والألم، لأن كل لذة ترتبط بألم ما. اللذة والألم اللذين أحس بهما آدم انتقلا إلى الجنس البشري. وهكذا أيضاً اليوم من خلال التحرر من اللذة يأتي الفرح للجنس البشري. إن ميلاد المسيح لم يؤذ عذرية والدة الإله، بالضبط لأن الحمل لم يتم بلذة، والحمل في الرحم لم يتم مع جهد ووزن. حيث يعمل الروح القدس «**يُغلَب نظام الطبيعة**».

القديس باسيليوس الكبير

إن طول فترة الحمل في رحم العذراء مريم هي إنذار مُسْبَق للشركة غير المنقطعة التي للقديسين في الملكوت. معروف أن بين الأم والطفل الذي تحمله في رحمها علاقة عضوية. لقد برهن الباحثون المعاصرون أن الطفل يتأثر كثيراً ليس فقط بوضع أمه الجسدي، بل أيضاً ببنيتها النفسية. وبما أن الطفل الإلهي قد حبل به بالروح القدس لكنه نما بطريقة طبيعية فهو كان في شركة مع جسد العذراء مريم، ولهذا السبب يوجد علاقة حميمة

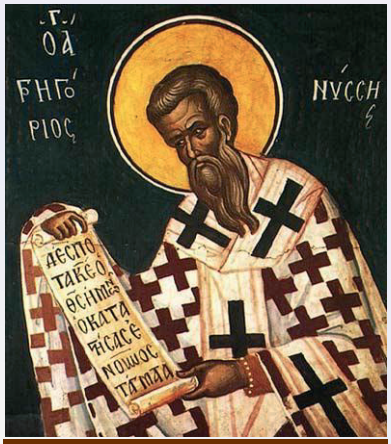
القديس غريغوريوس النيسي

بين المسيح ووالدة الإله. طبيعياً، نرى من وجهة النظر هذه أن العذراء مريم تعطي دمها للمسيح، لكنه هو أيضاً يعطيها نعمته وبركته. إلى هذا، فالمسيح مع كونه محمولاً في الرحم لم ينقطع عن كونه في الوقت نفسه جالساً على عرش الآب متحداً بأبيه وبالروح القدس.

لقد اتحدت الطبيعة البشرية بالإلهية تلقائياً عند لحظة الحمل من دون تغيّر أو تشوش أو انقسام أو انفصال. هذا يعني قبل كل شيء أن العذراء مريم تذوقت خيرات التجسد الإلهي أي التأله. لقد عاشت العذراء مريم، منذ اللحظة الأولى للحمل ووجود الجنين في الرحم، كلَّ ما تذوقه تلاميذ المسيح في العنصرة، وما نحياه نحن خلال المعمودية، وفي سرّ الإفخارستيا الإلهية عند اشتراكنا بجسد المسيح ودمه وما سوف يحياه القديسون في الملكوت. بالنتيجة لقد غذّى المسيح العذراء مريم بدمه المقدس لمدة تسعة أشهر كاملة، ليلاً ونهاراً. إن هذا إعلان مسبَق عن الشركة الإلهية غير المنقطعة والعلاقة المتواصلة بين القديسين والمسيح والتي سوف تتمّ في الحياة الثانية بشكل أساسي. لهذا السبب، العذراء مريم هي إعلان مُسبَق عن الزمن الآتي.

ومن هذا المنظار هي **الفردوس**. في كلامه عن بشارة والدة الإله، يتقدم القديس نيقوديموس الأثوسي إلى مقاربة شخصية ووجودية لهذا الحدث. إذ لا يكفينا أن نحتفل بأحداث التجسد الإلهي خارجياً بل علينا مقاربتها وجودياً وروحياً. لهذا السبب لقد جمع الكثير من المقاطع من أقوال القديسين حيث الكلام هو بشكل أساسي ضمن هذه المقاربة الوجودية. إن قول النبي إشعياء مميّز: «حبلنا تَلَوَّينا كأنّا ولدنا ريحاً.» (أش ٢٦:١٨). بحسب تفسير الآباء فإن النسل هو كلمة اللّه والعقل هو رحم الإنسان وقلبه. بالإيمان يُزرع كلمة اللّه في قلب الإنسان فيحمَل بخوف اللّه. هذا الخوف هو من أن يبقى الإنسان بعيداً عن اللّه. بهذا الخوف يبدأ الجهاد لتطهير القلب وامتلاك الفضائل، وهو جهاد مشابه للألم وخاصةً لألم الحمل. بهذه الطريقة يولَد روح الخلاص الذي هو تألّه وتقديس. إنَّ تَكَوُّن المسيح فينا لا يتمّ من دون آلام روحية. يقول الرسول بولس: «يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصوّر المسح فيكم» (غلاطية ٤:١٩).

المخاضات هي الجهادات الروحية والتكوّن هو التألّه والتقديس. بحسب الآباء القديسين (غريغوريوس النيصّي، مكسيموس المعترف، سمعان اللاهوتي الحديث، نيكيتا ستيثاتوس وغيرهم) ما حدث جسدياً في العذراء مريم ، يحدث روحياً لكل صاحب روح بتولية ، أي المُتَطهّر من الأهواء. المسيح، الذي وُلِدَ مرّة بالجسد يريد أن يولد، دائماً بالروح، من الذين يبتغونه، وبهذا يصبح طفلاً مكوِّناً نفسه فيهم من خلال الفضائل. يُفهم الحمل والولادة الروحيان من حقيقة توقف جريان الدم، أي أن الرغبات في ارتكاب الخطيئة تتوقف، وتفقد الأهواء نشاطها في الإنسان، فيكره الخطيئة بشكل ثابت ويرغب في عمل إرادة اللّه. يُكتَسَب هذا الحمل وهذه الولادة بتحقيق الوصايا الإلهية، بشكل أساسي بعودة العقل إلى القلب وبالصلاة الفردية غير المنقطعة. عندها يصبح الإنسان هيكلاً للروح الكلي قدسه.

بشارة والدة الإله هي بشارة للجنس البشري، إعلام بأن ابن اللّه وكلمته تجسّد. إن العيد الكوني يجب أن يساعد على أن يكون عيداً شخصياً، في بشارة شخصية. علينا أن نقبل مقدمة خلاصنا، التي هي أعظم إشعار في حياتنا.

+ الميتروبوليت إيروثيوس (فلاخوس) مطران نافباكتوس.

السموات تذيع مجد اللّه

المشتري الأكبر في المجموعة الشمسية

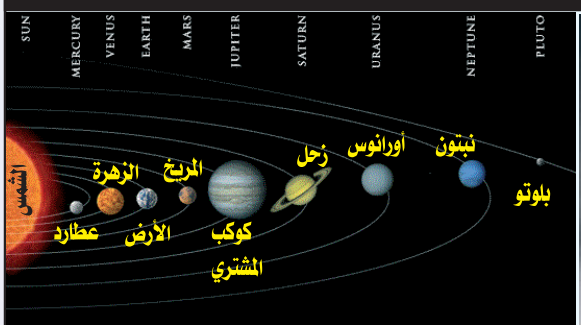

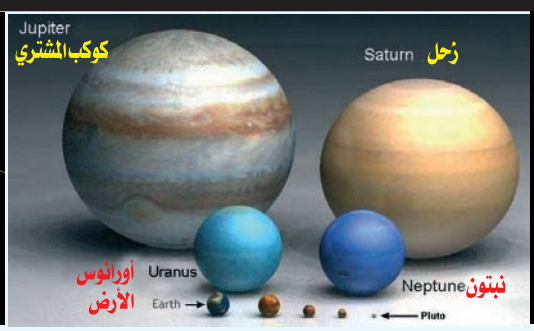

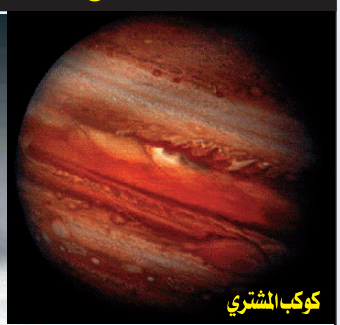
كوكب المشتري

أبرز معالم كوكب المشتري العملاق ، بقعة حمراء ضخمة ، وهي عبارة عن إعصار هائل يعصف بتلك المنطقة من الكوكب أكثر من ٣٠٠ عام. ويبلغ قطر هذا الكوكب ١٤٣ الف كم ، ولو افترضنا أنّ عدّاء يجري بسرعة ٦ أميال في الساعة ، فإنّه سيحتاج إلى ٥ سنوات ليقوم بدورة كاملة حوله. ويبلغ وزنه ٣١٨ مرّة ضعف وزن الأرض ويسير بمدار حول الشمس بطول ٧٨٠ مليون كم ، وهو إحدى أقوى أربع كواكب في سمائنا بعد الشمس والقمر وزحل ، ولكوكب المشتري أربع أقمار تدور حوله .

كيف يجب أن يكون الكاهن

للقديس مكسيموس المعترف

يجب ان يكون الكاهن قدّيساً نفساً وجسداً، وعمود نور ينير الكنيسة التي هي شعب اللّه ، وأن يكون أنقى من أشعة الشمس لئلا يتركه الروح القدس مقفراً.

إن الكهنوت يصير على الأرض إلاّ إنّ له رتبة الطغمات السماوية. فانَّ لا ملاك ولا إنسان ولا قوَّة أخرى مخلوقة تستطيع أن تجريه وتتمّه بل الروح الكليُّ قدسه هو الخدمة بالذات. والكاهن إنّما يتمّم خدمة الملائكة.

لأجل ذلك يجب على كل الحائزين على درجات الكهنوت المختلفة أن يتصوَّروا وهم يكمّلون الخدمة أنّهم واقفون مع الملائكة في السماء أمام اللّه. ولذلك يُطْلب منهم أن يكونوا طاهرين أنقياء كالملائكة. أما علمتم أنه **لولا** مؤازرة نعمة اللّه مؤازرة عظيمة لما استطاعت نفس بشرية قطٌ أن تصمد أمام نار تلك الذبيحة الهائلة! لإنه إن كان ليس في استطاعة أحد أن يعرف ماهية الإنسان المركّب من لحم ودم ، فكيف يمكن الدنوُّ من الطبيعة المغبوطة المتفوّقة في الطهارة والنقاوة؟ من يتأمّل في هذه الحقائق يستطيع أن يُدرك تمام الإدراك مقدار الكرامة التي للكهنة والتي إنما أُهّلوا لها بنعمة الروح القدس.

فالكهنوت خدمة جليلة سماوية إلهية. هكذا احتسبه الآباء القديسون المتوشحون باللّه **فوقّروه جداً واحترموه** وقالوا إنه لا يجب ولا يليق أن يُمنح **إلاّ للقديسين فقط**. ولذلك يجب على كل كاهن أن يَمتحن نفسه فإذا رأى أنه غير مُقدَّس وغير طاهر فليندم ويَتُب بدموع حارَّة. وإلا فليهرب بعيداً من الخدمة لئلا يحترق نفساً وجسداً.

ثم إن الكهنوت هو بهذا المقدار أعلى وأجلّ من المُلك بمقدار الفرق الموجود بين النفس والجسد. فيجب على الكهنة الذين يمارسون الخدم الكهنوتية الرهيبة أن يبذلوا جهدهم في تطهير نفوسهم حتى من أحقر وأقلّ التخيُّلات النفسية ومن ثم يُقْدِمون على الخدمة. متشبهين على قدر استَطاعتهم بالساروفيم والشاروبيم.

يوجد بعض كهنة لا يسلكون بمقتضى القوانين والشرائع الإلهية **لا قولاً ولا فعلاً ولا فكراً** لكنهم مشغوفون **بمحبة المجد والشرف ولا هَمَّ لهم إلاّ أن يحترمهم الناس ويبجلونهم**. ولكن أمثال هؤلاء الكهنة ولسؤ الحظ لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يخلّصوا أنفسهم ولا غيرهم. آخرون صاروا كهنة لأنّهم كسالى ولا طاقة لهم على الشغل والعمل اليدوي ولم يستطيعوا أن يدبّروا أمور معيشتهم.

وهنالك آخرون دون أن يقدّروا عظَم الضرر الذي يلحق بالكنيسة، ودون أن يدركوا عظَم أهمية هذه الخدمة الإلهية، قد تجرَّأوا علَى الدخول إلى المذبح المقدس دون أن يكونوا حائزين على شيء من المؤهلات من علم وأدب وأخلاق. وإذ لم **يقْدِروا** أن **يُقدِّروا** هذا السِّرّ الرهيب **حقّ قدره** راحوا يزعمون أنّ الكهنوت إنّما هو جرأة وجبابرة.

آخرون كانوا فاضلين أتقياء أعفّاء إلى درجة القداسة ولكنّهم لما ارتقوا إلى درجة الكهنوت اعتزُّوا بهذه الرتبة فوضعوا كل ارتكانهم عليها وكل ثقتهم بها فَخُدعوا وتراخت عزائمهم وتهاونوا في ممارسة الفضائل التي كانوا يمارسونها قبلاً، بل توغلوا في الملاذ وارتكاب الذنوب فعوقبوا عقاباً شديداً.

آخرون يخدمون المذبح المقدّس بتواضع وبضمير طاهر فيحظون بالمكافأة من الرب لقاءَ ذلك. فمن يخدم عن غير استحقاق هو **يهوذا ثان. وهو خائن**. لان داتان وابيروم قد انشقَّتْ الأرض وابتلعتهما حَيَّيْن، لانهما تجرَّأا على التبخير في هيكل الرب عن غير استحقاق، فكم بالحري يكون اكثر إجراما من يطأ جسد المسيح المخلّص ودمه! لا مراء أن مثل هذا سوف يُعاقب بأشنع العقوبات **ويُقاص بأشدّ القصاص**.

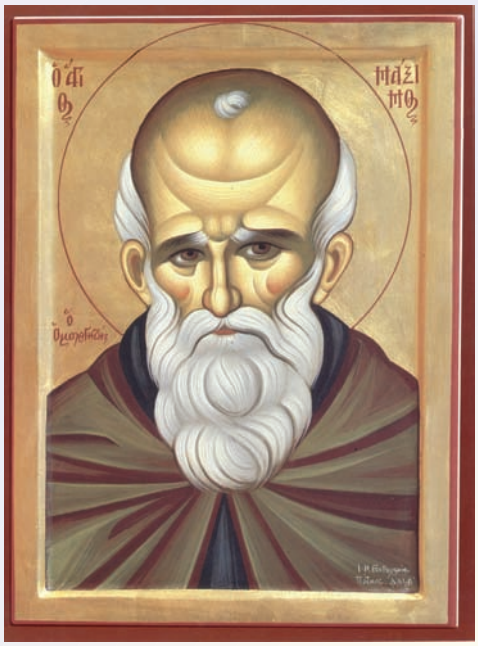

فالكاهن الصالح الحقيقي يجب أن يكون تقياً حكيماً محباً للتعليم متواضعاً غير مدمن للخمر ضابطاً نفسه ولسانه غير حقود ولا بخيل بل رحيماً محباً وعلى الخصوص للغرباء. يجب أن يكون محباً للجميع كباراً وصغاراً ومسالماً الجميع. وأن لا يأخذ رِباً ممن يقرضهم وان لا يجدّف ولا يحرم ولا يلعن، ألاّ يكون تاجراً لئلا ينطق بالكذب، ألاّ يدخل مع آخرين في مخاصمات ومنازعات، ألاّ يتعظم ويستكبر، ألاّ يستعمل المزاح ليُضْحك الآخرين، ألاّ يكون مهذاراً وألاّ يتكلم إلاّ بالكلام المفيد والنافع لسامعيه مسترشداً بآيات الكتاب الإلهي، ألاّ يكون شرهاً ولا شهوانياً لئلا يحزن الروح القدس. وأن لا يجاوب سائليه بغضب ونزق بل بروح التواضع نحو الجميع، ألاّ يتبرَّج ويتزَّين، أن لا يحسد نجاح الغير، أن يسامح من يشتمه من كل قلبه أمام الجميع وقبل غروب الشمس، أن يفحص الذين يسقطون في الخطايا بوداعة ويوبّخهم بمخافة اللّه. لا يجب أن يكونَ عثرةً أو سبب شك لأحدٍ غنياً كان أو فقيراً.

جميع هذه الأمور التي ذكرناها يجب على الكاهن أن يحافظ عليها بكل دقَّة وبغاية الانتباه ليتسنّى له بدالّة وبقلبٍ طاهر أن يعلّم آخرين أيضاً. فان تهاون بما ذكر ولم يحفظه جيداً لفائدة الذين يتعلَّمون منه وبنيانهم فالأوفق له «أن يعلِّق في عنقه حجر الرَّحى ويزجّ في البحر» لأنه خالف ناموس المسيح واستهان بتعليمٍ كهذا. ■

طريق النساك الإتضاع واليقظة

كل من يقاتل في الحروب الداخلية يحتاج في كل لحظة إلى أربعة أمور:

١- الاتضاع ٢- منتهى التيقظ ٣- الإرادة للمقاومة ٤- الصلاة

ويلزم بمعونة اللّه، أن نسود على "**الوجوه السوداء للفكر**"، وندفعهم إلى خارج باب القلب ، ونسحق في الحال أولئك الذين "يحطمون أطفالك عند الصخرة" (مز ١٣٧:٩).

التواضع مطلب أساسي، لأنّ الإنسان المتكبر يغلق الباب أمام نفسه مرة واحدة وإلى النهاية.

والتيقظ أو السهر ضروري لملاحظة ومعرفة الأعداء في الحال، ولحفظ القلب حُرًا من الرذيلة.

وإرادة المقاومة ينبغي أن تبرز في نفس اللحظة التي نلاحظ فيها العدو ونكتشفه.

ولكن بما أنه "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يو ١٥:٥)، لذلك فالصلاة هي الأساس الذي تتوقف عليه المعركة كلها.

إنّ مثلاً صغيرًا قد يرشدك إلى هذا الأمر، فبواسطة التيقظ والسهر تكتشف عدوًا يقترب من باب قلبك، كأن تُجرب مثلاً، بأن تفكر فكرًا شريرًا نحو صديق. فللحال تستيقظ فيك إرادة المقاومة وتدفع عنك التجربة. ولكن في اللحظة التي تليها مباشرة تُصاب بتقهقر في صورة فكر بالغرور في نفسك، فتردد في داخلك قائلاً: نعم، لقد كنت يقظًا!.. وهكذا يتحول انتصارك الظاهري إلى هزيمة مروّعة. ذلك لأن التواضع كان غائبًا.

وعلى العكس، فإنك إن سلمت الحرب للرب ، فإن الميل إلى الغرور والاكتفاء بالذات ، يتلاشى وتصير حرًا. وستلاحظ حالاً، أنه ليس هناك سلاح يساوي في قوته اسم الرب يسوع.

إن هذا المَثل ليبين كيف أن الحرب ينبغي أن تستمر بلا هوادة وبلا توقف، إن الدوافع الشريرة تتدفق في تيار سريع وينبغي أن تُضبط وتُوقف بأقصى سرعة ممكنة. هذه هي "جميع سهام الشريرة الملتهبة" التي يتكلم عنها الرسول بولس (أف ٦:١٦)، والتي تأتي مسرعة دون توقف. ولذلك فيجب أن يكون صراخنا إلى الرب بلا توقف، "فإنّ مصارعتنا ليست مصارعة مع لحم ودم، ولكن مع الرؤساء مع السلاطين ضد ظلمة هذا الدهر، ضد أجناد الشر الروحية" (أف ٦:١٢).

ويشرح القديسون قائلين لنا: إن الدافع هو البداية، ثم يتبعه الاتصال والحوار حينما ندخل أكثر إلى ما يأتينا به هذا الدافع. والخطوة الثالثة هي القبول، والرابعة هي تتميم الخطيئة.

هذه المراحل الأربعة يمكن أن تتوالى في نفس اللحظة، ويمكن أن تتباعد بدرجات مختلفة حتى يستطيع الإنسان أن يفصلها عن بعضها البعض.

إنّ الدافع أي النزوة تطرق الباب مثل البائع، فإن سمح له الإنسان بالدخول، فإنه يبدأ بحديث الدعاية لبضائعه، ويكون من الصعب عندئذ التخلص منه حتى إذا أبدَينا ملاحظاتنا بأن بضاعته رديئة ، بعد ذلك تأتي الموافقة أو القبول ، وأخيرًا يتم الشراء ، وغالبًا ما يكون ضد إرادتنا ذاتها. وهكذا يدع الإنسان نفسه أن يُضلَل بواسطة ما أرسله الشرير من أفكار.

يقول داود عن النزوات (أو الدوافع): "باكرًا أبيد جميع أشرار الأرض لكي أقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم"، "فلا يسكن وسط بيتي عامل غش". (مز ١٠١:٨،٧).

ويقول موسى النبي عن القبول أو الموافقة: "لا تقطع معهم عهدًا" (خر ٢٣:٣٣).

والعدد الأول من المزمور الأول يعالج أيضًا نفس الموضوع كما يقول الآباء: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار.." لذلك فإنه في غاية الأهمية أن يتكلم مع أعداءه "في الباب" (مز ١٢٧:٥).

ولكن حينما يكثر المزاحمون على الباب ، وعندما نعرف أن "الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور" (٢ كو ١١:١٤)، فأنّ الآباء القديسين ينصحوننا أن نحفظ القلب نقيًا من النزوات، والمشاعر والخيالات مهما كان نوعها، إذ أنه ليس في استطاعة القدرة البشرية أن تفصل بين النزوات الشريرة والصالحة: فالرب وحده يستطيع ذلك. ولذا فإننا نسلم له هذا الأمر ونحن نثق فيه، عالمين جيدًا أنه: "إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس" (مز ١٢٧:١).

ومع ذلك فالأمر يتوقف عليك، لكي تحترس لئلا يكون في قلبك كلام رديء(انظر تثنية ١٥:٩)، وأن تنتبه أن لا يصير قلبك سوقًا يزدحم فيه ما تحب وما لا تحب من الأصوات محدثة صخبًا شديدًا مستمرًا، مما يؤدي بك لأن تفقد رؤيتك تمامًا لحقيقة ما يحدث. هنا يلتقي السراق واللصوص، أما ملاك السلام الذي تحتاج إليه فلا يكون هناك. فالسلام ومعه رب السلام كلاهما يهربان من مثل هذا المكان.

لذلك فالرب يخبرنا بواسطة رسوله قائلاً: "نقوا قلوبكم" (يع ٤:٨) وهو نفسه يوصينا: "انظروا. اسهروا وصلوا" (مر ١٣:٣٣) لأنه إذا جاءَ ووجد قلوبنا غير نقية ووجدنا غافلين، فإنه سيقول: "إني لا أعرفكم" (مت ٢٥:١٢). ولكن الساعة حاضرة دائمًا، إن لم تكن في هذه اللحظة، ففي اللحظة التي تليها، وإن لم تكن في التي تليها، ففي هذه اللحظة، لأنّ ساعة الدينونة، مثلها مثل ملكوت السموات، هي حاضرة دائمًا في قلوبنا.

ولذلك فإن لم يسهر الحارس، فإنّ الرب أيضًا لا يحرس، ولكن إن لم يحرس الرب فباطلاً يسهر الحارس. لذلك فلنسهر على أبواب قلوبنا ونحرسها، وفي نفس الوقت لا نكف عن الصلاة إلى الرب لطلب المعونة.

لا توجه نظرك نحو العدو. ولا تدخل في نقاش مع ذلك الذي لا تستطيع – غالباً – أن تقاومه . فهو يعرف – بما له من خبرة لآلاف السنين، نوع الحيلة التي يمكن أن تجعلك عاجزًا في الحال، لذلك، قف في وسط حقل قلبك ووجه نظرك إلى فوق، وحينئذ فإنّ قلبك يتحصن في الحال من كل ناحية، إذ أنّ الرب نفسه يرسل ملائكته لحراسة قلبك من اليمين ومن اليسار ومن الخلف في وقت واحد.

وهذا معناه ، إنه إذا هاجمتك تجربة ، فلا ينبغي أن تعتبرها مادة للفحص، أو للتأمل، أو لموازنة شيء ما أو ضده: إذ أنك بذلك تدنّس قلبك وتضيّع وقتك، وهذا يكون انتصارًا للعدو، وبدلاً من ذلك، وبدون أقل تأخير، اتجه بكل قلبك إلى الرب "يا رب، ارحمني، أنا الخاطئ" وبقدر ما تسرع بسحب أفكارك بعيدًا عن التجربة بقدر ذلك تأتيك المعونة بسرعة.

لا تثق بنفسك أبدًا ولا ترتكن عليها ولا تصنع قرارًا وعزمًا صالحًا وتفكر هكذا: آه نعم إنني سأتمم كل شيء حسنًا. لا تثق أبدًا في قوتك الذاتية ومقدرتك على مقاومة التجربة من أي نوع كانت، كبيرة أم صغيرة، بل فكّر على العكس هكذا: أنا متأكد إني سأسقط بمجرد أن تهاجمني التجربة. إنّ الاعتماد على الذات والثقة بها هو شَرَكٌ خطير. وكلما أدركت قلة قوتك الذاتية كلما صمدت ووقفت بأكثر تأكيد. اعترف بأنك ضعيف وغير قادر بالمرة على مقاومة أقل إغراءات الشيطان. ولدهشتك فإنك ستجد أن الشيطان ليس له سلطان عليك، لأنك إن جعلت الرب ملجأك، فإنك ستتيقَّن سريعًا أنه لن يصيبك شر (انظر مز ٩١: ٩، ١٠)، فأنّ الخطيئة هي الشر الوحيد الذي يمكن أن يصيب المسيحي.

إن كنتَ تشعر بتبكيت شديد بسبب سقوطك بطريقة ما. وإن كنت تلوم نفسك بعنف وتتخذ قرارات كثيرة بأن: "لن أعود أبدًا إلى فعل ذلك مرة أخرى". فإنّ هذه علامة أكيدة على أنك تسير في طريق خاطئ، إذ أنّ ما تَسَبَّبَ في سقوطك هو اعتمادك على ذاتك.

فالذي لا يعتمد على نفسه يشكر اللّه متعجبًا أنه لم يسقط إلى انحدار أكثر، وهو يبارك اللّه ويسبّحه لأنه يرسل له عونًا في حينه، وإلاّ لكان قد بقي مطروحًا، بل إنه يقوم بسرعة ويبدأ صلاته بالشكر قائلاً ثلاث مرات: "ليكن اللّه مباركًا".

إنّ الطفل المُدلل حينما يسقط، يبقى متألمًا لفترة طويلة، إنه يطلب العطف والتدليل. لذلك فلا تدلل نفسك ولا تقلق عليها مهما تألمت. بل قم مرة أخرى واستأنف الجهاد، لأنّ من يحارب يتعرّض للجروح، فالملائكة فقط هم الذين لا يسقطون، ولكن صلّ إلى الله أن يغفر لك وأن يحفظك من عدم الانتباه فيما بعد.

لا تتبع مثال آدم بوضع اللوم على المرأة أو على الشيطان أو على أي ظروف خارجية أخرى فالسبب في سقوطك يكمن في داخلك: ففي اللحظة التي غاب فيها رب البيت عن قلبك، فإنك سمحت للسرّاق واللصوص أن يدخلوا ويخرّبوا كما يريدون، صلّ إلى اللّه أن لا يتكرر هذا.

سُئل مرة راهب: "ماذا تفعل هناك في الدير؟" فأجاب: "نحن نسقط ونقوم، ونسقط ونقوم، ثم نسقط ونقوم أيضًا".

فإنه لا تمر دقائق كثيرة في حياتك بدون أن تسقط فيها مرة على الأقل، لذلك صل الى الله أن يرحمنا جميعًا.

صَلِّ لنوال الغفران والنعمة واطلب الرحمة كما يطلبها مجرم محكوم عليه بالموت، وتذكر أننا مخلّصون بالنعمة فقط (أف ٢: ٥).

إنك لا تستطيع أن تدّعي لنفسك الحرية والنعمة، اعتبر نفسك في وضع عبد هارب وهو ينحني أمام سيده طالبًا أن يصفح عنه.

هكذا ستكون صلاتك إذا اتبعت ما يقوله **مار اسحق السرياني**، "**اطرح عنك ثقل خطيئتك، في داخلك**"، وذلك حتى يمكنك أن تجد هناك في داخلك "**الطريق الصاعد الذي يجعل صعودك ممكنًا**".

عطية الصبر للشاعر الكبير ناصيف اليازجي

يا بائع الصبر لا تشفَق على الشاري ... فدرهم الصبر يسوى ألف دينار

لا شيء كالصبر يشفي جرح صاحبه ... ولا حوى مثله حانوت عطّار

هذا الذي تخمد الأحزان جرعته ... كبارد الماء يطفي حدّة النار

ويحفظ القلب باق سلامته ... حتى يُبَدّل إعسارٍ بإيسار

سيفتح اللّه باباً ليسَ تعرفه ... ومنهجاً ليس ملحوظ بأبصار

العهد القديم في الكتاب المقدّس (١٦)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة

الآباء وأرض الموعد

تقابَلَ الآباء أثناء الهجرة والترحال مع قبائل عديدة وشعوب مختلفة ، لكن ظَلَّ لهم ترابط الأسرة ونقاء النَسَب فيُرسل إبراهيم عبده أليعازَر الدمشقيّ ويستحلفه بقَسَم أن يُحضر زَوجة لإبنه إسحق من أُسرته في حاران ، ويتزوّج يعقوب من بناتَ خاله لابان ، فقد عاشَ الآباء حول العهد المقدّس مع اللّه ذلك العهد الذي أعطاه اللّه لإبراهيم ونسله من بَعده ، أرضاً جديدة ، وأمّة ، ونسلاً تتبارَك فيه الأرض ، وبإبراهيم ونسله يدخل الشعب في التاريخ ، وبإسحق يتجدّد العهد ، وفي يعقوب تتحوّل الأسرة إلى شعب ويتأكّد ذلك في بركة يعقوب لأولاده وهو يحتضر وتتركّز على المستقبل البعيد عندما يمتلك هؤلاء الإثنا عشر أرض الموعد ، وتزداد حقيقة التمسّك بأرض ميراثهم فنرى يعقوب يستحلف يوسف أن يُدفَن في كنعان أرض آبائه ويتكرّر ذات المشهد في يوسف وهو يوصي إخوته من جهة عظامه أن ينقلوها معهم إلى الأرض التي وعَدَ اللّه بها أباءه أن يرثوها.

وفي إنتهاء قصة يوسف ختام سفر التكوين ذلك السفر الذي أعطانا بداية الخلقة ، وحياة الآباء التي تميّزت بصُوَر هي القمة في الإبداع وغاية في الحقيقة والواقعيّة حيثُ نرى الإختلاف في تصوير الشخصيات ، فَهُم ليسو صُوَراً متناسخة أو مكرّرة لكن كلٌ منها له طابعه ، فقايين يختلف عن هابيل ، ونوح لا يُشارك عالمه المعاصر ، وفي قصص الآباء نجد إختلافات في تصوير الشخصيات مما يُظهر حقيقة السَرد وصدق الروايات وحيويّتها ، فهُم ليسوا نسخة واحدة مُكرّرة ، فنرى إبراهيم يتسم بالمشاعر الكريمة والتسامح بالنسبة للأمور العالميّة (تك١٣:٨و١٤:٢٢و٢٣:٧) ، بينما يعقوب على النقيض من ذلك فهو دائم الإصرار على أخذ حقوقه (تك٢٩:٢٥ و٣٠:٣٧)، واسحق شخصيّة هادئة مسالمة يتنازل عن كلّ شيء مقابل أن يعيش مع أسرته في سلام ، وتتوافق حياة الآباء مع الأحوال والعادات القديمة سواء في أرض ما بين النهرين حيث عاش أسلاف إبراهيم أو مع مع الأحوال وعادات قدماء المصريين في أدق تفاصيلها كما تظهر في قصة يوسف في مصر.

العالم القديم في عصر الآباء

لكي تكون دراستنا لحياة الآباء أكثر وضوحاً علينا أن ندرس شيئاً يسيراً عن تاريخ العالم القديم ، وطبيعة تلك المنطقة التي تمتد من شرق تركيا حتى الخليج العربي وقتذاك ، وأن نتعرّف على بلدان الشرق الأدنى القديم وهي ما تُعرَف بمنطقة الهلال الخصيب والواقعة فيما بين النهرين ومصر وتضمّ أرض كنعان. وسنتناولها بالدراسة كالآتي:

أولاً ـ أرض ما بين النهرين في عصر الآباء
ثانياً ـ كنعان في عصر الآباء ثالثاً ـ مصر في عصر الآباء

أولاً ـ أرض ما بين النهرين في عصر الآباء Mesoptamia:

وهو إصطلاح يُطلَق على أرض العراق ، حيثُ تنحصر بين نهريّ دجلة والفرات،وأهميّة دراسة هذه المنطقة بالنسبة إلى التاريخ القديم هو أن أسلاف إبراهيم أصل الشعب العبرانيّ كانوا يسكنون مدينة أور الكلدانيين التي تقع في هذه الأرض ، والأرض خصبة في تربتها غنيّة في محاصيلها يرويها النهران الكبيران اللذان ينبعان من مرتفعات تركيا ، وفيها يبتعدان عن بعضهما قرابة مائة ميل (١٦٠ كم) ، ويبلغ نهر الدجلة نحو ١١٠٠ ميل (١٧٦٩ كم) ، ويهبط من منبعه بسرعة نحو السهول في الجنوب ، أما الفرات فيتّخذ لنفسه مجرى ملتو متعرّج لمسافة ١٧٠٠ ميل (٢٧٣٥ كم) وهو وإن كان أقل إندفاعاً في إنحداره ، لكنّه له مخاوفه لأنّه يفيض فياضانات هائلة بسبب تلك التربة الصلبة في السهول الجنوبيّة ، ويلتقي النهران بالقرب من الخليج الفارسي.

وفي منطقة ما بين النهرين نشأت أسبق الحضارات المدنيّة في الوجود وترجع إلى **الألف الخامسة ق.م.** حيثُ سكنت في جنوبها شعوب عاشت في قُرى مبعثرة في السهل ما بين دجلة والفرات ، وأخذوا يطوّرون أنظمة الريّ وزرعوا الحبوب واشتغلوا بصيد السمك ، وتربية الماشية ، وعملوا بالتجارة وكسبوا مهارة في صناعة النسيج والخزف والبناء ، واستخدموا قوارب خفيفة من البوص كوسيلة للإنتقال ، واكتشفوا أقدم عربة تجرّها الخيل عُرفت في التاريخ.

وحوالي سنة ٣٥٠٠ ق.م. وصَلَ إلى المكان شعوب غير ساميّة الجنس يُسمّون بالسومريين وقد أتوا من أواسط آسيا ويشير سفر التكوين إلى مجيئهم: «وكلما هاجر الناس شرقاً وجدوا مكاناً في أرض شنعار وإستقرّوا هناك» (تك١١:٢)، وشنعار هي ما تُعرَف بأرض سومر ، وتطوّرت الحضارة السومريّة فشكّلوا الطوب وجفّفوه في الشمس وبنوا الأسوار الضخمة حولَ مُدُنهم وقاية للواحدة ضد هجمات الأخرى أو ضدّ هجمات المُغيرين من القبائل الجبليّة ، وداخل الأسوار شيّدوا أبنية مرتفعة وخاصة تلك التي اشتهر بها السامريون وهي أبراج ذات سلالم وفي قمّتها المعبد حيثُ يعبدون آلهتهم وكانت أيضاً ملجأ لهم من الفياضانات والسيول . ولكن التنافس والحروب المتقطعة قد أضعفت السومريّون مما جعلهم فريسة لقبائل رُحَّل أتوا من الشمال وينحدرون من الأصل السامي ويحكمهم **الملك سرجون الثاني** ، وحَكَمَ سرجون أولاً في كيش القريبة من بابل وتبعُد عنها نحو ٢٥ كم من جهة الجنوب الشرقي ، ثمّ انتقل إلى عاصمته الجديدة في **أكّد** وأسّس الأكديّة سنة ٢٣٥٠ ق.م. وحكمت سومر وامتدت حتى البحر الأبيض المتوسط ، وازدادت الحضارة وتناثرت المدن في أور ، ونبور ، وسومر ، وأوروك ، ولجش ، وكيش.

يتبع

عجائب القديس يوحنا الروسي

وُلدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سَنة١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفرسان في بلدة بروكوبيوَ ، نال من الإضطهاد والعذابات والضرب ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

القديس يوحنا الروسي

رؤية مقدسة

الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي – إيڤيا يحدّثنا بما يلي:

«إن حياتك قدامك. إنك شاب كما بالطبع ولدك الأول ولكن ما الذي يستطاع أن نعملُه ؟ يجب أن نقول لك الحقيقة: إن ابنك يموت بسبب نوع من سرطان الدم الذكوري (**Leukemia**). أنصحك لما تبقى من الوقت القليل أن تأخذه إلى البيت وبمساعدة مساعد طبي متمرن اعتنِ به هناك. لا تنهار. ما زلتَ شاباً».

هذه الكلمات قالها اختصاصي في أحد أكبر مستشفيات الأطفال في أثينا إلى شابين والديْ طفل ذي ثلاث سنوات كان يموت من سرطان الدم السريع الاستفحال.

في البيت تجمع أقرباؤهم، نحو خمس وثلاثين شخصاً في مجموعهم، ليشاركوا بصمت في حزن الوالدين الشابين الذين كانا يتوقعان موت ولدهما في أيّ لحظة.

وفجأة صرخ الوالد:

«يا قديسي يوحنا الروسي. ليس لديّ الجرأة أن أرى ولدي الأول يموت. تذكر يا قديسي أنني عمّدت ابني في كنيستك تعالَ يا قديس الله يوحنا...». (منذ عام 1925 حتى اليوم الحاضر "زمن كتابة التقرير" أكثر من أحد عشر ألف ولد نالوا المعمودية في كنيسة القديس يوحنا الروسي في كنيسته في پروكوبيو في آڤيا).

وتطلع الأقرباء إلى الأب الذي كان يبكي كما إلى الولد الصغير. ولكن ماذا رأوا؟ لقد كانت عينا الصبي الصغير مفتوحتَين وهو يشير بيده إلى شيء ما على الحائط. وأدار الجميع نحو الحائط ورأوا شكل القديس يوحنا الروسي يمر كنور لامع. من بعدها، تجدّدت الكريات الحمراء في شرايين الصبي الصغير، ونال الشفاء التام .

المجد لله ولقديسيه! المجد لك يل اللّه فبشفاعة القديس يوحنا الروسي أيها الربّ إلهنا إرحمنا وأشفينا وأنر طريق حياتنا. آمين .

الفيلسوف والملك

إنّه حديث دارَ بين أحد الملوك الوثنيين الذين لا يؤمنون بوجود اللّه. وبين أحد فلاسفة المسيحيين القدامى.

الملك : أينَ يوجد إلهك أيّها الفيلسوف ؟

الفيلسوف : أعطني كوب ماء وقطعة من السكّر فأعطاه فأذاب السكّر في الماء ثمّ قال : أين السكّر ؟ إنّ كلّ ذرّة من ذرّات الماء هي سكّر ؛ هكذا اللّه يا مولاي موجود في كلّ مكان ولا يخلو منه مكان.

الملك: أين يسكن اللّه شرقاً أم غرباً أم شمالاً أم جنوباً ؟

الفيلسوف: أخَذَ شمعة واشعلها وقال: أين تتجه هذه الشمعة يا مولاي؟ إنه ليس لها اتجاه محدّد ، إنّها تتجه إلى كلّ الجهات.

الملك: ومن كان قبلَ اللّه ؟

الفيلسوف: اسمح يا سيّدي أن تعد لغاية عشرة. فبدأ الملك يقول ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ الخ الخ . فقاطعه الفيلسوف: لا ياسيّدي لقد أخطأت ... لماذا لم تعدّ قبل الواحد؟ فقال الملك وهل في الحساب عدد قبل الواحد اللهم إلاّ إذا كان الصفر؟ فأجاب الفيلسوف «هكذا يا مولاي اللّه أزلي لا بداية أيام له، أبدي لا نهاية أيام له . هو الألف والياء . الأوّل والآخر . البداية والنهاية. هو اللّه الواحد الأحد ليس قبله أحد».

الملك : وما هي صناعة اللّه ؟

الفيلسوف : ألتمس يا سيّدي أن أجيبك على هذا السؤال وأنت بعيد عن عرشك ، فترك الملك عرشه فاعتلاه الفيلسوف وقال: هذه صناعة اللّه يا مولاي: **يُعزّ ويُذّل ، يَرفع ويُخفض ، يُشفي ويُمرض ، يُحيي ويُميت** «يُنزل الأعزّاء عن الكراسي ويرفع المتضعين».

شرح أيقونة القيامة

إنّ قيامة المسيح من الموت هي قيامة لنا جميعاً.

وما المُراد بقـوله صـعِدَ ، سوى أنّه نَزلَ أيضـاً إلى أسافل الأرض.

لنتأمّل هذه الأيقونة:

المسيح هو محور هذه الأيقونة يبدو وكأنّه يرتفع حاملاً طاقات الحياة المتفجّرة بحيويّة الروح القدس ، وكأنّ تلك الطاقات تضغط على الصخور فتنفجر إنفجاراً هائلاً.

إنّ نزول المسيح إلى الجحيم يكرّس انتصاره النهائي على الموت.

الجحيم وهي غير جهنّم تعني مسكن الأموات.

لقدانحَدَرَ المسيح إلى عالم الظُلمات ليَهَب الحياة للذين في القبور. إنّه النور الذي يتسرّب إلى أعماق الظلمَة حيثُ الأبوان الأولان آدم وحواء. نراه يَمُدَّ لهما يَد الخلاص ليخرجهما من القبر المظلم. وكأنّه يقول لآدم: بواسطتك أصبحتُ أنا ابن الإنسان ، وأنتَ بي أصبحتَ ابن اللّه.

ويبدو آدم مرتدياً ثوباً أبيضَ مذهباً كالثوب الذي يرتديه المسيح دلاله على بُنوّته الألهيّة ، أما حوّاء فتردي اللّون الأحمر دلالة على أمومتها لأنّها أم البشريّة وهو اللّون الذي ترتديه العذراء مريم بصفتها أمَّ البشريّة المُخلَّصة.

ونرى آدم وحوّاء يرتفعان مع المسيح ويخرجان من الظلمة إلى النّور وقد تحرّرا من الخطيئة.

يتوسّط المسيح هالةً بيضويّة الشكل مُكوّنة من ثلاثة ألوان. اللّون الأبيض يرمز إلى السماء مسكن العليّ ، واللّون الأزرق الفاتح يرمز إلى الأرض مَسْكن الأحياء ، واللّون الأزرق الغامق يرمز إلى الجحيم مسكن الأموات. وذلك كلّه دلالة على أنّ المسيح هو سيّد الكون.

ويحيط بالمسيح أشعة ذهبيّة منقسمة إلى ثمانية أقسام دلالة على اليوم الثامن المعروف عند المسيحيين بيوم الأحد يوم قيامة المسيح من بين الأموات، وهو يوم الحياة الأخرى المجّدة في الدهر الآتي أي الأبديّة في ملكوت اللّه.

وتظهر حول رأسه هالة ذهبيّة نورانيّة تتوسّطتها ، صليب رُسمَت عليها أحرف يونانيّة معناها (أنا هو) أي الكائن. وفوق رأسه منَ اليمين ومن اليسار لفظتان يونانيّتان إيسوس خريستوس ، ومعناها يسوع المسيح.

يقف المسيح على الصليب علامة إنتصاره ، لأنّه بالصليب تغلّب على الموت. فيما يظهر الجحيم مُحَطّماً عند موطىء قدميه وممثلاً بآثار استعباده الظالم ، سلاسل متكسّرة ، وأقفال مُبعثرة ومفاتيح مطروحة جانباً ومسامير.

ويبدو إبليس مُلقاً في عمق أعماق الظلمة مُكَبَّل العُنق واليدَين والرِجلَيْن ، بعد أن ألغَى المسيح نهائيّاً دوره العدواني.

يبدو الجحيم في هذه الأيقونة قسمَين: القسم السفليّ مُظلم. فيما القسم العلويّ الذي يتوسّطه المسيح مضيء يستمدّ نوره من المخلّص.

عن يمين المسيح يقف كلٌّ من يوحنا المعمدان والملك سليمان والملك داود.

يوحنا الذي كان النبيّ السابق للمسيح على الأرض والذي هيىء له الطريق ، كانَ السابق له أيضاً في دنيا الأموات. نراه يُشير بيده اليسرى إلى المسيح مخلّص العالم. وبيده اليمنى يُعلن شهادته لظهور الثالوث ، ولطبيعتيّ المسيح الإلهيّة والإنسانيّة.

أما الملكان سليمان وداود فهما من أجداد المسيح. الملك داود أشارَ في مزاميره إلى قيامة المسيح من بين الأموات ، والملك سُليمان هو باني هيكل الربّ **رمز المسيح الهيكل الحقيقيّ**. وقد قال يسوع: «أنقضوا هذا الهيكل وأنا أقيمه في ثلاثة أيّام». كانَ يُشير بهذا الكلام إلى قيامته من بين الأموات. **جسد المسيح هو الهيكل الحقيقيّ**.

عن يسار المسيح نرى هابيل وموسى والنبيّ إيليّا.

هابيل يحمل بيده عصاً لأنّه صورة يسوع الراعي الصالح ، وهو أوّل مَن ماتَ قتلاً على وجه الأرض.

أما موسى كليم اللّه فَيُرينا وجه الفصح اليهودي أي العبور من العبوديّة إلى الحريّة. يقابله الفصح الجديد المتمثّل لنا بقيامة المسيح وهي عبورٌ أيضاً ، ولكن من **الموت إلى الحياة**. ومن المعروف أنّ موسى قد تراءى ليسوع في تجليه.

أمّا النبيّ إيليّا المعروف **بالحيّ** فهو رمز الحياة لأنّه كما يقول الكتاب المقدّس توارى نحو السماء على عربة من نار ، وهو الذي تحدّث أيضاً مع يسوع عن رحيله على جبل التجلّي.

موسى والنبيّ إيليّا يرمزان إلى سيادة المسيح على الموت والحياة.

جميع الأشخاص في هذه الأيقونة يشهدون من خلال أوضاعهم وإشاراتهم وملامح وجوههم : بأنّ يسوع المسيح هو المخلّص الوحيد الذي انحَدَرَ إلى الجحيم ليقيم معه الأحياء والأموات.

المسيح قام من بين الأموات
وداسَ الموت بالموت
ووهب الحياة للذين في القبور